

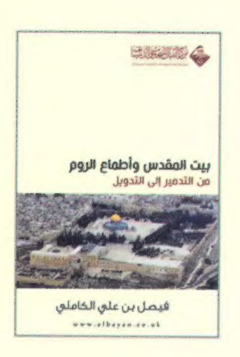
بيت المقدس وأطماع الروم

من التدمير إلى التدويل



فيصل بن علي الكاملي

www.albayan.co.uk



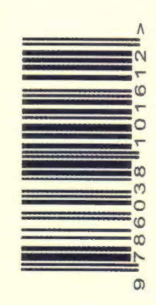
بيت المقدس وأطماع الروم من التدمير إلى التدويل

أذِن الروم لليهود باستيطان فلسطين، لكنهم لم يأذنوا لهم أن يتخذوا من بيت المقدس عاصمة لهم، بل وقفت الأمم المتحدة موقف المعارض من ذلك كما تشهد قراراتها، وهو أمرٌ جدير بالتأمل؛ إذ لِمَ لَم يوهب القدس لليهود إن كانوا ذوي حظوة ونفوذ عند الروم؟ أو لِمَ لَم يُعط للمسلمين إن كانوا أولى به منهم؟ وما السر في إخراجه من اتفاقيات التقسيم منذ الانتداب البريطاني إلى يومنا هذا؟ بل ما الذي يدعو الغرب إلى التواطؤ على مناصرة إعلان الدولة الفلسطينية في هذه المرحلة تحديداً؟ أسئلة عديدة لا يجد لها المرء جواباً شافياً في ظل ما يسمع ويرى على وسائل الإعلام.

في محاولة للإجابة عن بعض هذه الأسئلة يختط الباحث سبيلاً غير مطروقٍ غالباً، ولذا فإن مصادمته لما قد يعُدُّه القارئ مُسلَّماً هو أمرٌ وارد. لكنه إسهام في توسيع دائرة البحث في شأن القضية الفلسطينية، وتتبع لمواقف اليهود والروم عبر التاريخ من مسألة القدس، وتذكيرٌ بدور نصارى الروم الرئيس في هذه القضية.



مكتب مجلة البيان
ص.ب ٢٦٩٧٠ - الرياض - ١١٤٩٦
www.albayan.co.uk
sales@albayan.co.uk
هاتف : ٠٠٩٦٦١١٤٥٤٦٨٦٨



بيت المقدس وأطماع الروم

من التدمير إلى التدويل

إعداد

فيصل بن علي الكاملي

ح مجلة البيان، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كاملي، فيصل علي أحمد

بيت المقدس واطماع الروم من التدمير الى التدويل. / فيصل علي أحمد كاملي،- الرياض، ١٤٣٦هـ

١٣١ ص؛ ١٤× ٢١ سم

ردمك: ٢- ٦١- ٨١٠١- ٦٠٣- ٩٧٨

١- االقدس - تاريخ قديم ٢- الامبراطورية البيزنطية

أ. العنوان

ديوي ٩٣٣ ١٤٣٦/٣٠٤٢

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٣٠٤٢

ردمك: ٢- ٦١- ٨١٠١- ٦٠٣- ٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

منذ أشرق فجر الإسلام والقدسُ جزء لا يتجزأ من عقيدته، هواؤه يحمل أنفاسًا زكية لرُسُلٍ لهجوا بذكر الله ودعوا إلى توحيده. ومسجدُه الأقصى مسرى المصطفى صلى الله عليه وسلم، قد بارك الله حوله وضاعف الأجر للمتعبِّدين فيه. كم انفردَت في سبيله سوالف، وسُجلت في ساحاته بطولات ومواقف!

وأرضٌ هذه حالها من القداسة والجلال والجمال لا تزال ترمُقها أعين الكائدين والحاقدين من أعداء الدين وأعوانِهم من المنافقين. فبعد سقوط إمبراطورية الروم الغربية وصيرورة القدس تحت حكم البيزنطيين، وظهور الإسلام في جزيرة العرب وخارجها، استطاع الصحابة البواسل تطهير القدس من رجس الصليب. وسُلِّمت مقاليده للفاروق - رضي الله عنه - عام ١٦هـ.

إلا أن الحملة الصليبية الأُولَى (٤٩٢هـ)، أعادت مفاتيح القدس إلى الغزاة الصليبيين، وبقي تحت سلطانهم إلى أن استنقذه صلاح الدين الأيوبي رحمه الله عام ٥٨٣هـ، لكنّ قلوب المسلمين ما إن

كادت تأنس بعودة القدس حتى استحال عرَضًا من عروض التجارة يقبل المساومة؛ إذ سلمه السلطان الكامل الأيوبي طواعية لإمبراطور الروم «فريدريك الثاني» عام ٦٢٦هـ.

وفي عام ٦٤٠هـ استعاد الملك الصالح نجم الدين أيوب بيت المقدس وبقي تحت حكم المصريين حتى عام ٩٢٢هـ إذ انتقل إلى حكم العثمانيين. لكن أربعة قرون لم تُنسِ الصليبيين بيتَ المقدس الذي كان يومًا قاعدةً لفرسان الهيكل؛ إذ تمكنت القوات البريطانية في أثناء الحرب العالمية الأولى من هزيمة العثمانيين واحتلال بيت المقدس يقودهم الجنرال الصليبي «إدموند ألِنْبي».

أَذِن الروم لليهود باستيطان فلسطين، لكنهم لم يأذنوا لهم أن يتخذوا من بيت المقدس عاصمة لهم، بل وقفت الأمم المتحدة موقف المعارض من ذلك كما تشهد قراراتها، وهو أمرٌ جدير بالتأمل؛ فلِمَ لَم يوهب القدس لليهود إن كانوا ذوي حظوة ونفوذ عند الروم؟ أو لِمَ لَم يُعط للمسلمين إن كانوا أولى به منهم؟ وما السر في إخراجه من اتفاقيات التقسيم منذ الانتداب البريطاني إلى يومنا هذا؟ بل ما الذي يدعو الغرب إلى التواطؤ على مناصرة إعلان الدولة الفلسطينية في هذه المرحلة تحديدًا؟ أسئلة عديدة لا يجد لها المرء جوابًا شافيًا في ظل ما يسمع ويرى على وسائل الإعلام.

في محاولة للإجابة عن بعض هذه الأسئلة يختط الباحث سبيلًا غير مطروقٍ غالبًا، ولذا فإن مصادمته لما قد يعُدُّه القارئ مُسلَّمًا هو أمرٌ وارد. لكنه إسهام في توسيع دائرة البحث في شأن القضية الفلسطينية، وتتبع لمواقف اليهود والروم عبر التاريخ من مسألة القدس، وتذكيرٌ بدور نصارى الروم الرئيس في هذه القضية.

إن الموقف الغربي من القضية الفلسطينية - كما يراه الباحث - قائم على مبدأ مطَّرد منذ قيام مملكة القدس اللاتينية إبان الحروب الصليبية إلى يومنا هذا؛ هذا المبدأ هو أن تظل القدس عاصمة روحية للمملكة الرومية أو «الحكومة العالمية» التي هي عندهم طريق السلام الوحيد؛ فلا قيام تامًّا لمملكة الروم دون استعادة القدس بشكل أو بآخر، ولا حل لمسألة القدس دون أن يكون للروم نصيب الأسد منه.

إن صفحات هذا الكتاب الوجيز تحوي بعض المسائل التي لم تُحرَّر بعدُ برغم أهميتها، كمسألة ارتباط الروم بالماسونية، وبعضِ غوامض الحربين العالميتين، وحقيقة تدويل القدس. ولا يتسع المقام للخوض في تفاصيل هذه المسائل، لذا أوجزت ما أراه بشأنها إلى أن يتسنى لي تفصيلها في أسفار مستقلة إن شاء الله تعالى.

أسأل الله العظيم أن يعز دينه، وأن ينصر أولياءه، وأن يُسلِّم بيت المقدس من كيد الكائدين، وتسلط أعداء الدين، من الصهاينة والصليبيين ومن أعانهم من المنافقين، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

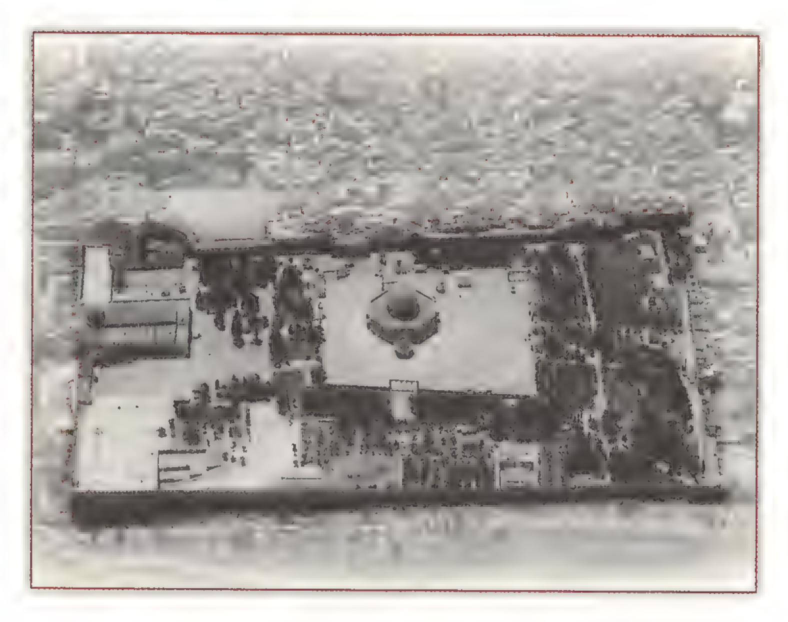

الفصل الأول

بيت المقدس قبل بعثة المسيح عليه السلام

تعد مدينة بيت المقدس من أقدم مدن الأرض، وقد ورد اسم قديم لها (أوروشالم) في رسائل تل العمارنة، قيل إن معناه «مدينة السلام». ومن أسمائها «القدس» و«بيت المقدس» و«الأرض المقدسة».

أما المسجد الذي فيها فقد أسماه القرآن «المسجد الأقصى»، ويعرف عند اليهود بالهيكل، ثم لما دخله الروم في القرن الأول الميلادي أسموه «إيليا كابيتولينا» نسبة إلى الإمبراطور «إيليوس هادريان» والصنم «جوبيتر كابيتولينوس» الذي أقيم فيه، ومنه جاء اسم «إيلياء» في كتب التراث.

أما حدود المسجد الأقصى فهي الأسوار الخارجية بأبوابها، والتي تضم الساحات كلها، وليست ساحة مسجد الصخرة فحسب.



وقد اختُلف في من بناه، فقيل إبراهيم الخليل عليه السلام، وقيل يعقوب عليه السلام، والمتفق عليه أن بناءه كان في زمن إبراهيم عليه السلام سواء كان هو من بناه أو يعقوبُ عليهما السلام؛ يؤيد ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً. ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ»[1].

(١) رواه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).

في زمن يعقوب عليه السلام وأبنائه كان بدء دخول بني إسرائيل إلى مصر، ثم إن بني إسرائيل نالهم من الاضطهاد في مصر بعد وفاة يوسف بن يعقوب عليهما السلام ما وُصف لنا في القرآن، زِد على ذلك تغيُّرَ حالهم لما بعدوا عن منهج الرسل واختلطوا بعباد الأصنام من قوم فرعون. فأرسل الله رسوله موسى عليه السلام ليخرجهم من أرض مصر ويعيدهم إلى جادة التوحيد.

حال بني إسرائيل مع بيت المقدس:

خرج بنو إسرائيل من مصر يقدُمهم كليم الله موسى عليه السلام، فلما وقفوا أمام اليَمِّ عاجزين، أمر الله نبيه أن يضربه بعصاه فانفلق فكان كلُّ فرق كالطود العظيم، لكنهم ما إن جفت أقدامهم حتى سألوا نبيهم قائلين: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ثم عتوا فقالوا: أرنا الله جهرة، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات.

ولما دعاهم إلى دخول الأرض المقدسة تولَّوا، قال: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢١، ٢٢].

جبنٌ وخوَر، وبُعدٌ عن منهج الله، وتمرد على النبوة، وزهد في أرض الأنبياء التي باركها الله. لقد كان حب الدنيا قد تملك شغاف قلوبهم حتى زهدوا في بيت المقدس خوفًا من أن يحال بينهم وبين ما يشتهون؛ ومَن تعلق بالدنيا لزمه الخوف من فراقها، واللهث وراء حُطامها، والخنوع أمام من يخشى أن ينتزِعها منه أو ينتزعَه منها، ولذا عاش اليهود أذلة بين الأمم لا يجرؤون إلا على الأنبياء وأتباعهم لقِلَّتهم، وقد وصف الله عز وجل حرصهم على الحياة رفيعة كانت أم وضيعة، فقال: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦].

وما تخلُّفهم عن دخول الأرض المقدسة، أرضِ الرسالات، إلا مظهرٌ من مظاهر هذا الهلع، ولهذا أجابوا نبي الله بقولهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]. وهو جوابٌ جامعٌ للشخصية اليهودية: فهي جريئة على الله، جبانة عن عباده؛ فكيف يُظن بمن جَبُن عن دخول الأرض المقدسة في زمن كليم الله أن يقاتل من أجلها تعبُّدًا بعد وفاته بأكثر من ثلاثة آلاف عام؟ وقد ورد فيما يجدون بين أيديهم على لسان موسى عليه السلام: «لأني أعرف تمردكم وقساوة

قلوبكم. إذ وأنا ما زلت حيًا معكم اليوم أخذتم في مقاومة الرب. فكم بالأحرى تتمردون بعد موتي؟»[1]

فلما أيس موسى عليه السلام من قومه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥، ٢٦].

هناك في أرض التيه أتاه ملك الموت لقبض روحه، فسأل موسى ربَّه أن يدنيه من الأرض المقدسة رميةً بحجَر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلو كنت ثَمّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»[2].

ثم خلَفَه فتاهُ يوشع بن نون عليه السلام فدخل بمن معه من بني إسرائيل الأرض المقدسة وأيده الله بمعجزة باهرة، قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده «إن الشمس لم تُحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس»[3].

دخل بنو إسرائيل بيت المقدس يزحفون على أستاههم[4]! وكما

---

(١) التثنية (٣١: ٢٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز (١٢٧٤).

(٣) مسند الإمام أحمد (١٤/ ٦٥).

(٤) رجح الإمام ابن كثير في تفسيره أن بيت المقدس هي القرية التي جاء ذكرها في قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا

نزعوا إلى شرك الفراعنة في مصر، تأثروا بمعبودات الوثنيين من حولهم في أرض الشام، فعبدوا أصنامهم بعد موت يوشع عليه السلام، وبهذا تشهد أسفارهم؛ جاء في الفصل الثاني من سِفر القضاة:

«وَكَذَلِكَ مَاتَ أَيْضًا كُلُّ جِيلِ يَشُوعَ [أي يوشع بن نون عليه السلام]، وَأَعْقَبَهُمْ جِيلٌ آخَرُ لَمْ يَعْرِفِ الرَّبَّ وَلاَ كُلَّ أَعْمَالِهِ الَّتِي أَجْرَاهَا مِنْ أَجْلِ إِسْرَائِيلَ. وَاقْتَرَفَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ [جمع بعل]، وَنَبَذُوا الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِم الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ، وَغَوَوْا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ أَوْثَانِ الشُّعُوبِ الْمُحِيطَةِ بِهِمْ، وَسَجَدُوا لَهَا، فَأَغَاظُوا الرَّبَّ»[1].

ثم تسلط العماليق على الأرض المقدسة إبان حكم الأسباط الاثني عشر، وعجز القضاة عن سياسة بني إسرائيل واضطربت شؤونهم، فسأل بنو إسرائيل نبيهم «صموئيل» - أو أشمويل كما

وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٨، ٥٩]. وعليه فيكون دخولهم على ما جاء وصفه في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري: «قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ فَبَدَّلُوا وَقَالُوا حِطَّةٌ حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ».

(١) سفر القضاة (٢: ١٠-١٣).

ورد اسمه في كتب التفسير - أن يبعث لهم ملكًا يقاتلون معه في سبيل الله. قال تعالى في ذكر حالهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

وعند أهل الكتاب أن صموئيل خاطبهم قائلًا: «... انْزِعُوا الآلِهَةَ الْغَرِيبَةَ وَأَصْنَامَ الْعَشْتَارُوثِ مِنْ وَسَطِكُمْ، وَهَيِّئُوا قُلُوبَكُمْ لِلرَّبِّ وَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، فَيُنْقِذَكُمْ مِنْ قَبْضَةِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ»[1].

فماذا كان جوابهم؟ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، كحال أسلافهم الذين أبوا أن يدخلوا الأرض المقدسة، وكيف ينشط للجهاد في سبيل الله من كان أحرص الناس على حياةٍ وإن كانت حياة ذُلّ؟

لكن الله نصر من ثبت من المؤمنين يقودهم ملكهم «طالوت»، وكان في جنده داود عليه السلام، وقَتل داود «جالوت» وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء، ثم كان فتح مدينة القدس على يده فعادت لأهل الإيمان.

(١) صموئيل الأول (٧: ٣).

تشييد سليمان عليه السلام للمسجد الأقصى:

لما مات داود عليه السلام خلفه ابنه سليمان عليهما السلام فكان من أعظم ملوك الأرض، إذ كان قد سأل ربه فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٣٥-٤٠].

وفي سورة سبأ: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٢، ١٣].

أما بناؤه المسجد الأقصى فكان قبل سؤاله المُلك الذي لا ينبغي لأحد من بعده كما يدل لذلك الحديث الذي رواه أحمد وابن خزيمة وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ بُنْيَانِ مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللهَ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، وَمُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَلا يَأْتِي هَذَا الْمَسْجِدَ أَحَدٌ لا يُرِيدُ إِلا الصَّلاةَ فِيهِ إِلا خَرَجَ مِنْ خَطِيئَتِهِ

كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا اثْنَتَانِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةَ»[(١)].

وقد سبقت الإشارة إلى أن بناء المسجد الأقصى كان في زمن إبراهيم عليه السلام، لكن سليمان عليه السلام بناه فأحسن بناءه. قال شيخ الإسلام: «فالمسجد الأقصى كان من عهد إبراهيم عليه السلام، لكن سليمان عليه السلام بناه بناء عظيماً»[(٢)].

وقد جاء في وصف الهيكل الذي بناه سليمان عليه السلام تفاصيل عند أهل الكتاب مما لا حاجة إلى ذكره، وإنما يكفينا أن نعلم أن هذا البناء الذي شيده سليمان عليه السلام هو الذي يسمونه «هيكل سليمان» أو «الهيكل الأول».

الإفساد الأول:

لما توفي سليمان عليه السلام وتولى المُلْكَ بعده ابنُه «رحبعام»، بايعه ببيت المقدس سبطا يهوذا وبنيامين، لكن بقية الأسباط بايعوا أخاه «يربعام»؛ فانقسمت المملكة إلى مملكتين: إحداهما «مملكة إسرائيل» في الشمال وعاصمتها «نابلس» (أو «شكيم»)، والأخرى «مملكة يهوذا» في الجنوب وعاصمتها «أورشليم» (أو «بيت المقدس»).

(١) رواه أحمد وابن ماجه والنسائي وابن خزيمة.
(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٥١).

وفشا الشرك في بني إسرائيل أكثر من ذي قبل، فقام «إلياس» عليه السلام يدعوهم إلى توحيد الله أمام مَلكهم «أخْآب» وكهنة بعلٍ فكفروا بما جاء به[1]، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات ١٢٣-١٢٧].

وكان من أكثر الملوك نُصرة للشرك وأهله الملكُ «منسَّى» الذي دنس بيت المقدس، وبنى «فِي دَارَيْ هَيْكَلِ الرَّبِّ مَذَابِحَ لِكُلِّ كَوَاكِبِ السَّمَاءِ... وَلَجَأَ إِلَى أَصْحَابِ الْجَانِ وَالْعَرَّافِينَ وَأَوْغَلَ فِي ارْتِكَابِ الشَّرِّ مِمَّا أَثَارَ عَلَيْهِ غَضَبَ اللهِ الرَّهِيبَ. وَنَصَبَ تِمْثَالَ عَشْتَارُوثَ الَّذِي صَنَعَهُ في الهيكل»[2].

يقول سفر حزقيال واصفًا بيت المقدس في هذه الحقبة:

«فَدَخَلْتُ وَنَظَرْتُ، فَإِذَا كُلُّ تَصَاوِيرِ أَشْكَالِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْبَهَائِمِ النَّجِسَةِ، وَجَمِيعُ أَصْنَامِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ مَرْسُومَةٌ عَلَى كُلِّ جَوَانِبِ الْجُدْرَانِ، وَقَدْ مَثَلَ أَمَامَهَا سَبْعُونَ رَجُلًا مِنْ شُيُوخِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ... وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِجْمَرَتُهُ تَتَصَاعَدُ مِنْهَا غَمَامَةٌ عَطِرَةٌ

(١) الملوك الأول (١٨).
(٢) الملوك الثاني (٢١: ١).

مِنَ الْبَخُورِ... ثُمَّ أَحْضَرَنِي [ملاك الرب أو غيره] إِلَى الْمَدْخَلِ الشِّمَالِيِّ لِبَوَّابَةِ هَيْكَلِ الرَّبِّ، فَإِذَا هُنَاكَ نِسَاءٌ يَنْدُبْنَ تَمُّوزَ... ثُمَّ أَحْضَرَنِي إِلَى الْفِنَاءِ الدَّاخِلِيِّ لِبَيْتِ الرَّبِّ، فَإِذَا عِنْدَ مَدْخَلِ هَيْكَلِ الرَّبِّ بَيْنَ الرِّوَاقِ وَالْمَذْبَحِ نَحْوُ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا أَدَارُوا ظُهُورَهُمْ لِهَيْكَلِ الرَّبِّ، وَاتَّجَهُوا بِوُجُوهِهِمْ نَحْوَ الشَّرْقِ سَاجِدِينَ لِلشَّمْسِ»[1].

وبقيت عبادة آلهة الوثنيين داخل بيت المقدس في زمن «آمون بن منسى» وبعده الملوك «يهوآحاز» و«يهوياقيم» و«يهوياكين» وأخيرًا الملك «صدقيا»؛ فسلط الرب عليهم من يسومهم سوء العذاب إذ كان قد توعدهم قبلها قائلًا:

«هَا أَنَا أَجْلِبُ شَرًّا عَلَى أُورُشَلِيمَ وَيَهُوذَا، فَتَطِنُّ أُذُنَا كُلِّ مَنْ يَسْمَعُ بِهِ. وَسَأُوْقِعُ عَلَى أُورُشَلِيمَ الْعِقَابَ الَّذِي أَوْقَعْتُهُ بِالسَّامِرَةِ، وَبِأَخْآبَ وَنَسْلِهِ. وَأَمْسَحُ أُورُشَلِيمَ مِنَ الْوُجُودِ كَمَا يُمْسَحُ الطَّبَقُ مِنْ بَقَايَا الطَّعَامِ، ثُمَّ يُقْلَبُ عَلَى وَجْهِهِ لِيَجِفَّ. وَأَنْبِذُ بَقِيَّةَ شَعْبِي وَأُسَلِّمُهُمْ إِلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ غَنِيمَةً وَأَسْرَى لَهُمْ، لأَنَّهُمُ ارْتَكَبُوا الشَّرَّ فِي عَيْنَيَّ، وَأَثَارُوا سَخَطِي مُنْذُ خُرُوجِ آبَائِهِمْ مِنْ مِصْرَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ»[2].

---

(١) حزقيال (٨).
(٢) الملوك الثاني (٢١: ١-١٥).

فبعد أن قضى الملك الأشوري «سرجون» على مملكة إسرائيل الشمالية عام ٧٢١ ق.م. وأزال شعبها قتلًا وتشريدًا، زحف فرعونُ مصر على مملكة يهوذا فاحتلها واستمر في زحفه إلى مملكة إسرائيل التي استولى عليها الأشوريون؛ فثار لذلك «نبوخذنصر» أو «بختنصر» الذي كان قد آل إليه عرش بابل بعد الأشوريين وزحف على فلسطين وهزم فرعون مصر ودمر المسجد الأقصى وسبى أكثر اليهود إلى بابل، وفر آخرون إلى مصر، وكان ذلك عام ٥٨٦ ق.م.

فكان الجلاء عن فلسطين عقوبة على شرك بني إسرائيل وتمردهم على دين الله وأنبيائه، وهو ما أشار إليه «إرميا» في رده عليهم: «إِنَّ الْبَلاَءَ الَّذِي حَلَّ بِكُمْ كَمَا فِي هَذَا الْيَوْمِ هُوَ عِقَابٌ لَكُمْ عَلَى إِحْرَاقِكُمُ الْبَخُورَ [للآلهة] وَتَعَدِّيكُمْ عَلَى الرَّبِّ وَعِصْيَانِكُمْ لِصَوْتِهِ، وَعَدَمِ سُلُوكِكُمْ فِي شَرِيعَتِهِ وَفَرَائِضِهِ وَشَهَادَاتِهِ.»[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأهل الكتاب معترفون بأن اليهود عبدوا الأصنام مراتٍ وقتلوا الأنبياء... وهم معترفون بأن بيت المقدس خرب مرتين؛ فالخراب الأول لما جاء بخت نصر وسباهم إلى بابل...».[2] وقد جاء في وصف هذا الخراب ما سطره

(١) إرميا (٤٤: ٢٣).

(٢) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار العاصمة، ١٤١٩هـ (٥/ ٩٤، ٩٥).

سفر الملوك بقوله:

«وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنَ الشَّهْرِ الْخَامِسِ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ حُكْمِ الْمَلِكِ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ، قَدِمَ نبُوزَرَادَانُ قَائِدُ الْحَرَسِ الْمَلَكِيِّ مِنْ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَحْرَقَ الْهَيْكَلَ وَقَصْرَ الْمَلِكِ وَسَائِرَ بُيُوتِ أُورُشَلِيمَ، وَكُلَّ مَنَازِلِ الْعُظَمَاءِ. وَهَدَمَتْ جُيُوشُ الْكِلْدَانِيِّينَ الَّتِي تَحْتَ إِمْرَةِ رَئِيسِ الْحَرَسِ الْمَلَكِيِّ جَمِيعَ أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ، وَسَبَى نَبُوزَرَادَانُ بَقِيَّةَ الشَّعْبِ الَّذِي بَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ، وَالْهَارِبِينَ الَّذِينَ لَجَأُوا إِلَى مَلِكِ بَابِلَ وَسِوَاهُمْ مِنَ السُّكَّانِ... وَحَطَّمَ الْكِلْدَانِيُّونَ أَعْمِدَةَ النُّحَاسِ وَبِرْكَةَ النُّحَاسِ الَّتِي فِي بَيْتِ الرَّبِّ، وَنَقَلُوا نُحَاسَهَا إِلَى بَابِلَ. وَاسْتَوْلَوْا أَيْضًا عَلَى الْقُدُورِ وَالرُّفُوشِ وَالْمَقَاصِّ والصُّحُونِ وَجَمِيعِ آنِيَةِ النُّحَاسِ الَّتِي كَانَتْ تُسْتَخْدَمُ فِي الْهَيْكَلِ. وَكَذَلِكَ الْمَجَامِرِ وَالْمَنَاضِحِ. كُلُّ مَا كَانَ مَصْنُوعًا مِنْ ذَهَبٍ أَخَذَهُ قَائِدُ الْحَرَسِ الْمَلَكِيِّ كَذَهَبٍ، وَمَا كَانَ مَصْنُوعًا مِنْ فِضَّةٍ كَفِضَّةٍ... وَهَكَذَا سُبِيَ شَعْبُ يَهُوذَا مِنْ أَرْضِهِ».

العودة إلى بيت المقدس:

فلما سقطت بابل بأيدي الفرس على يد الملك «كـورش»، أذن هذا الملك الوثني لليهود بالعودة إلى فلسطين، وكان ذلك

سنة ٥٣٨ ق.م. فعادت طوائف من اليهود إلى بيت المقدس وآثرت طوائف أخرى البقاء في أرض بابل. وعمدت الطائفة العائدة إلى بناء «الهيكل الثاني» لكنهم لم يُمنحوا استقلالًا بل كان الحكم الفارسي هو المسيطر؛ إذ أرسل الملك كورش اثنين من يهود فارس - بل لعلهم مجوس أصلًا - ليحكموا العائدين ويتولوا إعادة بناء الهيكل بأمر من الملك الفارسي «كورش» بعد أن دمره البابليون. فأسس بِناءَ الهيكل «شِيشْبَصَّر» وأتم البِنَاء «زوروبابل»، وأصبح بيت المقدس بعد إعادة بنائه يعرف بـ«الهيكل الثاني» **The Second Temple**.

يقول «قاموس آنكور الكتابي» **Anchor Bible Dictionary**: «بقيَت عبادةُ الشمس بعد السبي واحدة من العبادات الوثنية الأكثر شيوعًا بين يهود فلسطين كما تشهد بذلك المصادر الخارجية»[١].

أما «مجدد شريعة اليهود» و«جامع التوراة المزيفة» كما نعرفها اليوم فهو الكاهن «عـزرا» الذي ارتبط ببلاط الملك الفارسي «أرتحششتا» وكان في الفوج الثاني ممن عادوا إلى فلسطين بعد مئة عام من بناء الهيكل[٢]. فلفق «عزرا» ما بقي من آثار تاريخ بدء الخليقة ثم تاريخ أنبياء الله عليهم السلام مع ما عِلمه من عقائد الفرس،

(١) Anchor Bible Dictionary, "Sun".
(٢) عزرا (٧).

وجمع كل ذلك في بوتقة اليهودية العزرائية فكان بحقٍ مؤسسًا لما عرف فيما بعد بـ«اليهودية الحاخامية» Rabbinical Judaism. وقد أحسن «ماكس ديمونت» عندما وصفه ورفيقَه «نَحَمْيا»[1] الذي عاش في البلاط الفارسي كذلك بـ«بولُسَي يهوديةٍ جديدةٍ»[2] أي أنهما قاما بنفس الدور الذي قام به «بولس» اليهودي الفريسي بتحريفه النصرانية برعاية من الإمبراطورية الرومية.

وتقول مجلة The Monthly Review العريقة في عددها الصادر عام ١٨٢٠م:

«إن ديانة الإمبراطورية الفَرثية [الفارسية] من زمن «كورش» إلى الغزو المقدوني يمكن أن يقال إنها كانت مطابقة لدين اليهود... لقد كانت فلسطين بالنسبة للفرس كما هي التِّبت بالنسبة للصينيين، كانت [تعني] السيادةَ المستقلة والأرضَ المقدسة لكهنة الإمبراطورية [الفارسية]»[3].

بل إن الفرقة اليهودية التي عُرفت فيما بعد بالـ«فَريسيين» لم تكن سوى سدنة الهيكل «الفارسيين» المجوس الذين جاؤوا بعد السبي.

(١) هناك من العلماء من يرى أن «عزرا» و«نحميا» هما الشخص نفسه.

(٢) Max I. Dimont. Jews, God and History (New York: New American Library, 1994), p. 62.

(٣) The Monthly Review, "Mill's History of Muhammedanism", Issue 91, (R. Griffiths, 1820), p. 200.

يقول «ألبِرت بايك»: «كان النظام [العقدي] السائد بين اليهود بعد السبي هو نظام «الفِروشيم» أو «الفريسيين». وسواء اشتق اسمهم من «الفارسيين» أو أتباع «زوروآستر» [زرادشت] فإن اليقين أنهم استعاروا كثيرًا من عقائدهم من الفرس»(١).

بيت المقدس وتسلط اليونان:

في عام ٣٣٢ ق.م. استولى «الإسكندر المقدوني» على بيت المقدس، وبعد ذلك بعام دمَّر عاصمة الدولة الأخمينية بعد معارك عدة ضد الفرس، وتعقب داريوس الثالث الذي قُتل قبل أن يدركه على يد «بيسوس» الفارسي؛ وهكذا قامت مملكة اليونان.

كان العصر الهيليني بداية مرحلة حافلة بالاتصال بين اليهود والإغريق. يروي «التلمود»(٢) و«عادِيَّات» يوسيفوس(٣) أن كبير كهنة الهيكل في أورشليم عندما خاف مقدم «الإسكندر» بعساكره خرج لملاقاته، فلما رآه «الإسكندر» نزل عن فرسه وانحنى له. يضيف «يوسيفوس» في روايته أن «الإسكندر» عندما سئل عن

---

(١) Albert Pike. Morals and Dogma of the Ancient and Accepted Scottish Rite of Freemasonry (Charleston: L. Jenkins, 1961), p. 259.

(٢) "Babylonian Tamlud Yoma 69a", as quoted in Schiffman, Lawrence H. Texts and Traditions (New Jersey: KTAV Publishing House, 1998), p. 133.

(٣) Josephus. Antiquities of the Jews (CD version, BibleWorks, LLC, 2003), XI, 331-33.

ذلك أجاب «لَم أنحنِ له، بل للإله الذي أكرمه بمنصب كبير الكهنة، فقد رأيت هذا الرجل في رؤيا لابسًا هذه المُسوح». ففسر «الإسكندر» الرؤيا على أنها فألٌ حسن وأخذ الأرض المقدسة سِلمًا، فقرر حاخامات اليهود أن يسموا أول مولود بكرٍ بـ«الإسكندر» فصار الاسم فيهم إلى يومنا هذا.

بعد موت «الإسكندر» انقسمت إمبراطوريته إلى أربعة أقسام: حَكم «كاسندر» في مقدونيا، و«ليسيماخوس» في تراقيا، و«سلوقس» في بلاد الرافدين وفارس، و«بطليموس الأول» في بلاد الشام ومصر. ومن الأخيرين ظهرت سلالتا السلوقيين والبطالمة. وكان من أشهر أباطرة السلوقيين الإمبراطور «أنطيوخس الرابع».

كان الطاغية «أنطيوخس» منهمكًا في حروبه مع المصريين، لكنه لما عاد ذات مرة أُخبر بمحاولة انقلاب قام بها كبير كهنة اليهود الأسبق «ياسون» الذي كان «أنطيوخس» قد عزله وعين مكانه «منلاوس»، فكانت النكبة على اليهود؛ يحدثنا سفر المكابيين الثاني قائلًا:

«فلما بلغت الملكَ هذه الحوادث، اتهم اليهود بالانتقاض عليه؛ فزحف من مصر وقد تنمر في قلبه وأخذ المدينة [القدس] عنوة،... ودخل الهيكل الذي هو أقدس موضع في الأرض كلها، وكان

دليله منلاوس الخائن للشريعة والوطن، وأخذ الآنية المقدسة بيديه الدنستين، مع ما أهدته ملوك الأجانب لزينة الموضع وبهائه وكرامته، وقبض عليها بيديه النجستين ومضى... وحمل أنطيوخس من الهيكل ألفًا وثماني مئة قنطار، وبادر الرجوع إلى إنطاكية... ثم حمله ما كان عليه من المقت لرعايا اليهود على أن أرسل أبلونيوس الرئيس البغيض في اثنين وعشرين ألف جندي، وأمره أن يذبح كل بالغ منهم ويبيع النساء والصبيان. فلما وفد إلى أورشليم أظهر السلام، وتربص إلى يوم السبت المقدس، حتى إذا دخل اليهود في عطلتهم، أمر أصحابه بأن يتسلحوا، وذبح جميع الخارجين للتفرج، ثم اقتحم المدينة بالسلاح، وأهلك خلقًا كثيرًا»[1].

ثم يتحدث الإصحاح التالي عن محاولة «أنطيوخس» طمس معالم اليهودية فيقول:

«وبعد ذلك بيسير أرسل الملك شيخًا أثينيًا، ليضطر اليهود أن يرتدوا عن شريعة آبائهم ولا يتبعوا شريعة الله، وليدنس هيكل أورشليم ويجعله على اسم [الإله اليوناني] زوس (Zeus)... وامتلأ الهيكل عُهرًا وقصوفًا... وكان المذبح مغطى بالمحارم التي نهت الشريعة عنها. ولم يكن لأحد أن يعيد السبت، ولا يحفظ أعياد

(١) المكابيون الثاني (٥).

الآباء، ولا يعترف بأنه يهودي أصلًا. وكانوا كل شهر، يوم مولد الملك يساقون قسرا للتضحية، وفي عيد [الإله اليوناني] ديونيسيوس (Dionysius) يضطرون إلى الطواف إجلالًا له، وعليهم أكاليل من اللبلاب. وصدر أمر إلى المدن اليونانية المجاورة بإغراء البطالمة أن يُلزِموا اليهود بمثل ذلك وبالتضحية، وأن مَن أبىَ أن يتخذ السُنن اليونانية يُقتل، فذاقوا بذلك أمر البلاء»[1].

بيت المقدس وتسلط الروم:

قام المكابيُّون اليهود بثورتهم ضد الإمبراطورية السلوقية اليونانية، وأسسوا دولة الحَشمونيين التي لم تستقل تمامًا بل بقيت في حالة مضطربة إلى أن سقطت على يد القائد الرومي «بومبيوس» أو «بومبي».

تولى بومبي حسم النزاع على عرش يهودا الحشمونية التي أصبحت تعرف بمقاطعة «اليهودية»، إذ أيد هيركانوس الثاني ثم عيَّنه ملكًا روميًا على أن يدفع الجزية لروما، وقضى على تمرد أرسطوبولوس ودخل القدس عام ٦٣ ق.م. ثم عُين اليهودي العميل الذي صنعته روما «هيرودس» ملكًا على مقاطعة اليهودية نائبًا عن الإمبراطورية الرومية.

(١) المكابيون الثاني (٦).

ولعل هيرودس الكبير كان الأنموذج الأمثل للعميل اليهودي الذي يتولى منصبًا بارزًا إزاء تملقه للإمبراطورية الرومية التي صنعته؛ وهو يذكرنا باليهودي الدنيوي[1] «ثيودور هرتزل» الذي خدم الغرب الاستعماري بحركته الصهيونية، وبمن سار على نهجه من زعماء دولة إسرائيل الدعية من أمثال شمعون بيريز. فكما حاول هرتزل أن يظهر بصورة الغيور على دينه المحب لقومه، كان هيرودس قد توجَّه إلى إرضاء اليهود فشيد البنايات العظيمة في مقاطعة اليهودية، ووسَّع بيت المقدس حتى عُرف بـ«هيكل هيرودس» Herod's Temple، ثم كان هلاكه في السنة الرابعة من ميلاد المسيح عليه السلام.

وقد جاءت الإشارة إلى بيت المقدس في هذه المرحلة التاريخية في قصة امرأة عمران لما نذرت ما في بطنِها لخدمة الهيكل (أو المسجد)؛ وكان أن وضعت أنثى بينما أرادت ذكرًا: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا

---

(١) «دنيوي» هي المقابل الأدق للكلمة الإنجليزية secular التي تترجم عادة «علماني»، كما أنها أبلغ في الوصف. وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية saeculum وتعني «الدنيا» أو «الحياة الحاضرة».

الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٦، ٣٧]

فلما رأى زكريا عليه السلام حال الصديقة مريم المباركة عليها السلام حن إلى الولد؛ ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٨، ٣٩].

كان يحيى والمسيح عليهما السلام ابني خالة، وقد جاء ذكر بيت المقدس في زمنهما فيما روى أحمد والترمذي من حديث الحارث الأشعري أَنَّ نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَام بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ. فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ. فَقَالَ: يَا أَخِي إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي قَالَ فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلأَ الْمَسْجِدُ فَقَعَدَ عَلَى الشُّرَفِ...) الحديث[1].

(١) رواه أحمد والترمذي، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني.

لكن اليهود على عادتهم ودأبهم في محادة الله ورسله وتملقهم أعداءه قتلوا نبي الله زكريا نشرًا بالمنشار على المشهور، وأما ابنه الحصور يحيى عليه السلام فقد قتله الطاغية «هيرودس أنتيباس» ابنُ صنيعة الروم «هيرودُسُ الكبير»، وقدم رأسه على طستٍ مهرًا لابنة هيرودِيًّا[1]. ولم يبق من الأنبياء إذ ذاك إلا المسيح ابن مريم عليهما السلام.

(١) مَرقُص (٦: ٢٢).



القدس بعد بعثة المسيح عليه السلام

لما بعث الله المسيح عليه السلام رسولًا إلى بني إسرائيل، قام اليهود يتعنتون تعنت أسلافهم، ويسألونه ممتحنين لا مسترشدين، ويصدون الناس عن دعوته، كما صنعوا مع أخيه المصطفى صلى الله عليه وسلم من بعده. وقد نقل لنا العهد الجديد (كتاب النصارى) بعض ما وَصف به المسيح عليه السلام هؤلاء البهت تتزعمهم طائفة الفريسيين ورثةِ عزرا. من ذلك ما جاء في «سِفر متّى» على لسانه عليه السلام:

«لاَ تَعْمَلُوا مِثْلَ مَا يَعْمَلُونَ: لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلاَ يَفْعَلُونَ،... فَهُمْ يُعَرِّضُونَ عَصَائِبَهُمْ وَيُطِيلُونَ أَطْرَافَ أَثْوَابِهِمْ؛ وَيُحِبُّونَ أَمَاكِنَ الصَّدَارَةِ فِي الْوَلاَئِمِ، وَصُدُورَ الْمَجَالِسِ فِي الْمَجَامِعِ، وَأَنْ تُلْقَى عَلَيْهِمِ التَّحِيَّاتُ فِي السَّاحَاتِ، وَأَنْ يَدْعُوَهُمُ النَّاسُ: يَا مُعَلِّمُ، يَا مُعَلِّمُ».

ثم أشار إلى زهدهم في بيت المقدس لأجل حطام الدنيا كما صنع آباؤهم من قبل، فقال: «لَكِنِ الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ!... تَقُولُونَ: مَنْ أَقْسَمَ بِالْهَيْكَلِ، فَقَسَمُهُ غَيْرُ مُلْزِم؛ أَمَّا مَنْ أَقْسَمَ بِذَهَبِ الْهَيْكَلِ، فَقَسَمُهُ مُلْزِمٌ! أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ! أَيُّ الاِثْنَيْنِ أَعْظَمُ: الذَّهَبُ أَمِ الْهَيْكَلُ الَّذِي يَجْعَلُ الذَّهَبَ مُقَدَّسًا؟».

ثم وبخهم على قتل أنبيائهم فقال: «الْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ

وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ!... تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِأَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَاتِلِي الأَنْبِيَاءِ، فَأَكْمِلُوا مَا بَدَأَهُ آبَاؤُكُمْ لِيَطْفَحَ الْكَيْلُ».

وأخيرًا توعدهم بعقاب من الله يكون به خراب الهيكل فقال: «أَيُّهَا الْحَيَّاتُ، أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تُفْلِتُونَ مِنْ عِقَابِ جَهَنَّمَ؟... الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ عِقَابَ ذلِكَ كُلِّهِ سَيَنْزِلُ بِهَذَا الْجِيلِ. يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ، يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا! كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، فَلَمْ تُرِيدُوا. هَا إِنَّ بَيْتَكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا!»[1].

ووفقًا لسفر لوقا خاطب مدينةَ القدس[2] قائلًا: «فَسَتَأْتِي عَلَيْكِ أَيَّامٌ يُحَاصِرُكِ فِيهَا أَعْدَاؤُكِ بِالْمَتَارِيسِ، وَيُطْبِقُونَ عَلَيْكِ، وَيُشَدِّدُونَ عَلَيْكِ الْحِصَارَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَيَهْدِمُونَكِ عَلَى أَبْنَائِكِ الَّذِينَ فِيكِ، فَلاَ يَتْرُكُونَ فِيكِ حَجَرًا فَوْقَ حَجَرٍ: لأَنَّكِ لَمْ تَعْرِفِي وَقْتَ افْتِقَادِ اللهِ لَكِ. وَلَدَى دُخُولِهِ الْهَيْكَلَ، أَخَذَ يَطْرُدُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ فِيهِ وَيَشْتَرُونَ، قَائِلًا لَهُمْ: (قَدْ كُتِبَ: إِنَّ بَيْتِي هُوَ بَيْتٌ لِلصَّلاَةِ. أَمَّا أَنْتُمْ، فَقَدْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ!)»[3].

ثقلت دعوة المسيح عليه السلام على اليهود فلم يصبروا،

(١) متّى (٢٣).

(٢) يرى بعض علماء أهل الكتاب أن هذه الروايات الإنجيلية إنما دونت بعد تدمير الهيكل الثاني. وأيا كان الأمر فإنه لا ينفي توبيخ المسيح عليه السلام لليهود وتوعدهم بعذاب الله عز وجل لهم.

(٣) لوقا (١٩: ٤٣-٤٦).

وتمالؤوا مع الروم على قتل نبي الله كما قتلوا أنبياء الله قبله، لكن الله نجاه منهم فلم يقتلوه ولم يصلبوه كما قرر الحق تبارك وتعالى في كتابه، أما الحواريون فلم يَسلموا من اضطهاد السلطة الرومية وأعوانها من اليهود الذين باعوا دينهم.

بولس وجماعة القدس:

كان من أشهر الفريسيين «بولس» الطرسوسي الذي قال عن نفسه: «أَنَا فَرِّيسِيٌّ ابْنُ فَرِّيسِيٍّ»[1]. وهو إلى كونه يهوديًا فريسيًا كان عميلًا من عملاء الروم، إذ كان روميًا بالولادة[2].

والحق أن «بولس» هذا لم يعتنق النصرانية كما يزعم هو أو يزعم تلميذه «لوقا» بل تظاهر باعتناقه النصرانية ليفسدها، وهذا ما تؤكده الوثائق الكنسية القديمة التي تنص على أن شاول (أي بولس) هو الذي قتل «يعقوب» – إمام النصارى في القدس والملقب بـ«أخي يسوع [عيسى عليه السلام]» – بُغية القضاء على ما تبقى من نصرانية بعد رفع المسيح عليه السلام[3].

(١) أعمال الرسل (٢٢: ٣).
(٢) أعمال (٢٢: ٢٧).
(٣) Robert Eisenman. James the Brother of Jesus (New York: Penguin Books, 1997), p. 466.

نذر «بولس» القسم الأول من حياته لاضطهاد أتباع المسيح عليه السلام، ولم يتظاهر باعتناق النصرانية إلا بعد أن عجز عن القضاء على أتباعها الذين كانوا يشكلون «جماعة القدس». وقد ورد في سفر أعمال الرسل ما يشير إلى هذا[1]، ثم تسنى له عرض إنجيله الخاص به والذي نذر له ما تبقى من حياته وقال عنه: «كَيْفَ تَتَحَوَّلُونَ بِمِثْلِ هَذِهِ السُّرْعَةِ عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ [يعني نفسه]، وَتَنْصَرِفُونَ إِلَى إِنْجِيلٍ غَرِيبٍ؟ ٧ لاَ أَعْنِي أَنَّ هُنَالِكَ إِنْجِيلاً آخَرَ [غير إنجيلي]، بَلْ إِنَّمَا هُنَالِكَ بَعْضُ (الْمُعَلِّمِينَ) الَّذِينَ يُثِيرُونَ الْبَلْبَلَةَ بَيْنَكُمْ».[2] وهو هنا يقصد أتباع المسيح عليه السلام ممن لم يرضخوا لسلطان الروم.

وبناء عليه يمكن تقسيم القوى المشاركة داخل القدس بعد رفع المسيح عليه السلام إلى ثلاث: الأولى: هي الطائفة «المستبدة» التي مثَّلها من تعاقبوا على حكم الإمبراطورية الرومية من ملوك وأباطرة، والثانية: هي الطائفة «المداهنة» من الساسة ورجال الدين الذين رضوا بفُتات موائد أربابهم من الروم، أما الطائفة الثالثة: فهي «المقاومة» التي تثور أحيانًا في وجه المحتل عندما تشعر بالخذلان لتُقمَع بالسلاح تارةً وبوُعود المنافقين تارةً أخرى.

---

(١) أعمال (٨: ٣).

(٢) غلاطية (١: ٦-٩).

تمايزت هذه الطوائف الثلاث إبان القرن الأول الميلادي؛ فتمثلت الأولى في السلطات الرومية التي كانت غايةً في الاضطهاد لمخالفيها والبطش بهم. أما طائفة المداهنين فمثَّلها عملاء روما من اليهود «الفريسيين» و«الهيروديين»، وهؤلاء هم الذين سجلوا تاريخ هذه الحقبة وقاموا بما تقوم به وكالات الأنباء الكبرى من واجب «المداهنة للروم» كما اعترف شاهد العيان «يوسيفوس»[1]. وأما الطائفة المقاوِمة فهي التي وصفها بأنها: «ذات نزوع شديد للتحرر [من نير الاحتلال]... لا يدفعهم الخوف إلى اتخاذ البشر أربابًا من دون الله»[2].

لكن تاريخ هذه الحقبة لا يمكن استجلاؤه والجزم بتفاصيله من كتابات يوسيفوس لِما عرف عنه من مداهنة السلطة الرومية. لكن الله أشار في كتابه العزيز إلى أن بني إسرائيل انقسموا حيال دعوة المسيح عليه السلام إلى طائفتين: طائفة آمنت به فنصرها الله عز وجل ببعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم كما يذكر أهل التفسير عند تأويل قول الله عز وجل ﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ [الصف: ١٤]، وأما التي كفرت فتسلط عليها الروم فتفرقوا أيدي سبأ فيما عرف بالشتات ولم تقم لهم بعدُ قائمة.

(١) F. Josephus. The Jewish War (Bible Works LLC., 1999-2001), 1:2.

(٢) Josephus. The Jewish War, 2:117.

الإفساد الثاني:

لما كذَّب بنو إسرائيل أنبياءهم فقتلوا زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، ووالوا أعداء الله من الروم الوثنيين، وجعلوا من بيت المقدس وكرًا للمرابين ومغارة للصوص، وهموا بقتل نبي الله عيسى عليه السلام لَمَّا زجرهم، حق عليهم عذاب الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤ – ٧].

والمعلوم أن بيت المقدس هُدم مرتين، إحداهما على يد بختنصر، وهو الخراب الأول كما ذكر كثير من المفسرين. أما الخراب الثاني فكان بعد زمن المسيح عليه السلام على أيدي الروم.

وعلماء السلف على أن الإفسادين حصلا وأن الخرابين ترتبا عليهما، لكن بعض المتأخرين يذهب إلى أن الإفساد الثاني هو ما نشهده في أرض فلسطين من علو اليهود وقهرهم لأهل الإسلام،

وأن الخراب سيكون على أيدي المؤمنين. وهذا بعيد، فإن عقاب الإفسادين يكون على أيدي أقوام لا يقيمون لبيت الله وزنًا، ولا يرعون له حرمة، فيدخلون المسجد الأقصى ويتبرون ما علوا تتبيرًا، وليس هذا من فِعال أهل الإيمان؛ قال الشيخ السعدي في تفسيره: «واختلف المفسرون في تعيين هؤلاء المسلطين إلا أنهم اتفقوا على أنهم قومٌ كفار»[1].

والذي تطمئن إليه النفس أن الخراب الثاني إنما كان على أيدي الروم الوثنيين بقيادة «تيتوس» (أو «تِيطُس»)، وكان ذلك عام ٧٠ بعد الميلاد. كما أنه لا يعرف تدمير لبيت المقدس غير الذي كان قبل الميلاد على أيدي البابليين بقيادة «بختنصر»، ثم هذا. أما ما سواهما فكان تدنيسًا للمسجد لا هدمًا. قال شيخ الإسلام: «وهم [أي أهل الكتاب] معترفون بأن بيت المقدس خرب مرتين. فالخراب الأول لما جاء بُخت نصر وسباهم إلى بابل وبقي خرابًا سبعين سنة. والخراب الثاني بعد المسيح بنحو سبعين سنة وقد قيل هذا تأويل قوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٨]»[2].

(١) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦ هـ (٤٥٤).
(٢) الجواب الصحيح (٥/ ٩٥).

وقال صاحب التحرير والتنوير مفسرًا آيات سورة الإسراء:
«ويتعيّن أنّ ذلك إشارة إلى حادثين عظيمين من حوادث عصور بني إسرائيل بعد موسى عليه السّلام، والأظهر أنّهما حادث الأَسْر البابِلي إذ سلّط الله عليهم (بختنصر) ملك (أشُور) فدخل بيت المقدّس مرات سنة ٦٠٦ وسنة ٥٩٨ وسنة ٥٨٨ قبل المسيح، وأتى في ثالثتها على مدينة أورشليم [القدس] فأحرقها وأحرق المسجد وحَمَل جميع بني إسرائيل إلى بابل أُسارَى، وأنّ توبة الله عليهم كان مظهرها حين غلب (كُورش) ملك (فَارس) على الأشوريين واستولى على بابل سنة ٥٣٠ قبل المسيح، فأذن لليهود أن يرجعوا إلى بلادهم ويعمّروها فرجعوا وبنوا مسجدهم؛ وحادث الخراب الواقع في زمن (تِيطس) القائد الرّوماني وهو ابن الأنبراطور الرّوماني (وسبسيانوس) فإنّه حاصر (أورشليم) حتّى اضطرّ اليهود إلى أكل الجلود وأن يأكل بعضُهم بعضًا من الجوع، وقتَل منهم ألفَ ألفِ رجلٍ، وسبى سبعة وتسعين ألفًا، على ما في ذلك من مبالغة، وذلك سنة ٦٩ للمسيح. ثمّ قفّاه الأنبراطور (أدريان) الرّوماني من سنة ١١٧ إلى سنة ١٣٨ للمسيح فهدَم المدينة وجعلها أرضًا وخلط ترابها بالمِلح. فكان ذلك انقراض دولة اليهود ومدينتهم وتفرُّقهم في الأرض».

والذي يعنينا هنا أن الخراب الثاني كان «انقراض دولة اليهود» - كما قال ابن عاشور - فلم يقم لهم بعده مُلك. وقد سبق إلى هذا ابن القيم رحمه الله في «أحكام أهل الذمة» فقال: «فإن اليهود بعد مبعث عيسى خرجوا عن شريعة موسى وعيسى جميعًا فإن شريعة موسى موقتة بمجيء المسيح فكان يجب عليهم اتباعه، ولهذا قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ [المائدة: ٢٨]. ولذلك أبقى الله سبحانه للنصارى مملكة في العالم، وسلب اليهود ملكهم وعزهم بالكلية إلى قيام الساعة»[١].

وقال شيخ الإسلام في «الجواب الصحيح»: «فبعد الخراب الثاني تفرقوا في الأرض، ولم يبق لهم مُلك»[٢]. وهذا التفرُّق في الأرض يعرف بـ«الشتات» أو الـ«دِّياسْبورا» (Diaspora). وقد بقي اليهود على هذه الحال إلى أن جلبتهم بريطانيا إلى فلسطين لخدمة المشروع الذي نحن بصدد بيانه.

أباطرة وثنيون في لبوس نصارى:

في مستهل القرن الرابع الميلادي ظهر على مسرح الأحداث الإمبراطور الرومي «قسطنطين الأول» المعروف بـ«الأكبر».

(١) ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، رمادي للنشر - المؤتمن للتوزيع، ١٤١٨هـ (٢/ ٧٧١).
(٢) الجواب الصحيح (١/ ٩٥).

تظاهر هذا الرومي باعتناقه النصرانية ليكسب إلى جانبه النصارى من رعيته إبان تنافسه مع «ماكسنتيوس» على الإمبراطورية. زعم «قسطنطين» أنه رأى في منامه صورة صليب مكتوب عليه بالرومية (In Hoc Signo Vinces) وتعني «بهذه العلامة تنتصر»، فلما أصبح أمر الجنود بوضع صورة الصليب على التروس. واستطاع بتلك الحيلة أن يكسب قلوب النصارى فانضموا إلى جيشه وانتصر على منافسه «ماكسنتيوس» في معركة «جسر ميلفيوس».

كانت عقيدة الأباطرة الروم هي عبادة الشمس، ولم يكن «قسطنطين» بدعًا منهم بل كان وثنيًا يعبد إلهًا شمسيًا يعرف باسم (Sol Invictus) «الشمس التي لا تُقهر». فاختار «قسطنطين» يوم الأحد ليكون عيدًا للنصارى بدل يوم السبت الذي كان عيد اليهود قبلهم، وعرف يوم الأحد باسم (Dies Solis) أي «يوم الشمس» وانتقل هذا المفهوم إلى الانجليزية (Sun-day) المعنى نفسه.

كما دعا عام ٣٢٥م إلى «مجمع نيقية» الذي قُنِّنت فيه عقائد النصرانية المحرَّفة واختير من أسفار النصارى ما كان على نسق الوثنية الباطنية وأما بقية الأسفار فأخفيت أو أتلفت، وكانت هذه البداية الأولى للكنيسة الرومية الكاثوليكية، فأما تسميتها بالرومية فلأنها امتداد للإمبراطورية الرومية، وأما تسميتها بالكاثوليكية فلأنها

تدعي سلطانًا شاملًا على كل نصارى المعمورة، فـ«كاثوليكوس» (katholikos) كلمة إغريقية تعني «شامل».

لم يكن هذا الاقتباس من الوثنية من قبيل الصُّدفة كما قد يُتوهم، بل تم بشكل متعمد كما يشهد بذلك مشاهير العلماء؛ ففي دراسة بعنوان «Mary» (أي «مريم») قام بها ستة من نخبة علماء «الكتاب المقدس» في العالم ونشرتها الـ BBC على موقعها، يؤكد هؤلاء العلماء أنه «في أثناء انتشار النصرانية في الإمبراطورية [الرومية]، يبدو جليًا أنها أَخذت عامِدةً تصاوير من العالم الوثني الذي عاشت فيه». من ذلك أنه «تمت في مصر إعادة تصميم أحد أضرحة «إيزيس» بشكل متعمد وواعٍ ليكون ضريحًا لمريم»[(١)].

وقد أشار القرآن إلى تأليه النصارى لمريم وابنها - عليهما السلام - كليهما، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾

(١) http://www.bbc.co.uk/religion/religions/christianity/history/virginmary_1.shtml

إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٨].

وهكذا اختلطت عقائد الـروم الوثنيين بعقائد النصارى وأصبحت هذه النصرانية الرومية سائدة لا تطيق منافسًا يبلغ مبلغها، وأصبح الأباطرةُ باباواتٍ، والوزراءُ كرادلةً، وامتلك هؤلاء سلطة دينية ودنيوية على رعاياهم.

ثم لما تعرضت مملكة الروم لغزو قبائل «القوط الغربيين» وقبائل «الوندال» في القرن الخامس الميلادي، أصبح القدس تابعًا للإمبراطورية الشرقية التي عرفت باسم «الإمبراطورية البيزنطية». واستمر حكم الروم للقدس إلى منتصف القرن السابع باستثناء فترة يسيرة سقطت خلالها بيد الفرس الساسانيين.

الفاروق ﷺ يتسلم مقاليد بيت المقدس:

بعد سقوط الإمبراطورية الرومية وصيرورة القدس تحت حكم البيزنطيين، ظهر الإسلام في جزيرة العرب وخارجها واستطاع الصحابة الأطهار تطهير القدس من رجس الصليب، وسُلِّمت مقاليده للفاروق - رضي الله عنه - عام ١٦هـ (١٢٢٩م).

ذكر ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية» أن أبا عبيدة رضي

الله عنه كتب إلى أهل بيت المقدس [إيليا] يدعوهم إلى الإسلام أو يبذلون الجزية أو يؤذنون بحرب، فأبوا. فركب إليهم في جنوده، وحاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فلما وصل عمر رضي الله عنه إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء كخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان، ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث، ثم دخل من الباب الذي دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، فصلى تحية المسجد بمحراب داود وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد. ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس وهو العُمري اليوم(1).

الحروب الصليبية وفرسان الهيكل:

ظل بيت المقدس في ظل الإسلام الوارف إلى أن سقط بأيدي الصليبيين عام ١٠٩٩م، وبدأ «حجاج» النصارى يفدون إليه. لكن السبل إليه لم تكن تخلوا من مخاطر، فكان لا بد من تأمين طريق «الحجاج». عندها اجتمع عام ١١١٩م اثنان من المحاربين الصليبيين أحدهما الفارس الفرنسي «هيوز دي بايان» والآخر قريبه «جودفري دي سان أومير» واقترحا إيجاد «تنظيم» لحماية الحجيج. وافق الملك

(١) البداية والنهاية، المجلد الثاني، (٥/ ٢٨١)، بتصرف يسير.

«بولدوين الثاني» على الاقتراح واقتطع لهم من أرض «المسجد الأقصى» لبناء قاعدة لهم. ولتسميتهم المسجدَ الأقصى «هيكلًا» عرفوا باسم «فرسان المسيحِ وهيكلِ سليمانَ الفقراء» أو «فرسان الهيكل» اختصارًا، كما يُعرفون في المصادر العربية باسم «الداوِيَّة».

لكن فقر فرسان الهيكل لم يَطُل، فقد أسهم القديس «برنارد دي كليرفو» - الذي كان ذا مكانة في الكنيسة - في حصولهم على اعتراف كنسي رسمي في مجمع «إطرويش» (Troyes) عام ١١٢٩م. وبهذا حصل تنظيم فرسان الهيكل على امتيازات خاصة، لا سيما أنه تنظيم عسكري منذ نشأته، فكان بمثابة الخط الأول للدفاع عن البقاع المقدسة بعد أن استولى عليها النصارى.

ولكن بعد أن هيأ الله لأهل الإسلام من يذب عن حياضه وأذل النصارى على يد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله في معركة حطين عام ١١٨٧م خسر الفرسان قاعدتهم في بيت المقدس فترددوا بين «عكا» ثم «طرطوس» بالشام ثم «ليماسول» بقبرص حيث انتقلت قاعدتهم. لكن نفوذهم كان أقوى من أن يبدده انتقال القاعدة من مكان إلى آخر، فقد شكلت الحروب الصليبية بالنسبة لهم مصدر ابتزاز من عامة الشعب المتعاطف مع فرسانه. يقول الكاتب الماسوني البارون تشودي:

«الحرب التي كانت بالنسبة لأكثرية المحاربين مصدر إعياء وخسائر ومصائب، أصبحت بالنسبة لهم [فرسان الهيكل] مجرد فرصة للغنائم والتعالي. ولئن كانوا ميزوا أنفسهم بأعمال باهرة قليلة فإن الدافع لهم لم يعد أمرًا مشتبهًا فيه بعد أن رُؤوا يغتنون بغنائم حلفائهم، ويزيدون رصيدهم بقدر ما أمكنهم، ويتعالون لدرجة تضاهي الملوك ذوي التيجان في الأبهة والعظمة»[١].

وأخيرًا في عام ١٣٠٧م أمر ملك فرنسا «فيليب الرابع» باعتقال آخر قادتهم «جاك دي موليه» ومن معه من الفرسان المقيمين في فرنسا، وتبعه البابا «كلمنت الخامس» فأصدر مرسومًا في نفس العام يدعو ملوك أوروبا إلى اعتقالهم ومصادرة ممتلكاتهم. وفي عام ١٣١٢م في «مجمع ڤِيَان» Council of Vienne صدر مرسومان بابويان أحدهما Vox in excelso «صوت من العلي» جاء فيه: «بقلوبٍ تملؤها المرارة والأسى نلغي تنظيم الهيكل... ونحرم إعادته». والآخر هو Ad providam الذي قضى بمنح ممتلكات «فرسان الهيكل» لـ«فرسان مالطة»[٢].

لم يقتصر نفوذ فرسان الهيكل على بلاد الشام بل وصل إلى بلاد المغرب العربي إذ قاتل هؤلاء الصليبيون تحت أسماء تنظيمات أخر

(١) Webster, Nesta. Secret Societies and Subversive Movements (BiblioBazaar, LLC, 2008), pp. 73-74.

(٢) لقراءة نصي المرسومين انظر:
http://www.piar.hu/councils/ecum15.htm#BULL2

من أشهرها «تنظيم المسيح العسكري» الذي تأسس عام ١٣١٨م تحت رعاية ملك البرتغال «دينيس الأول». وكان من مشاهير فرسان هذا التنظيم البَحَّارةُ «ڤاسكو دا جاما» و«هنري الملاح» و«كريستوفر كولمبوس» الذي كان يهدف من رحلاته إلى جمع ثروة يُجهز بها جيشًا لاستنقاذ بيت المقدس من أيدي المسلمين!

من رسائل «كريستوفر كولمبوس» التي حُفظت لنا تلك التي أرسلها من وسط المحيط عام ١٤٩٣م إلى الملكين الإسبانيين الصليبيين فرديناند الثاني والقديسة إيزابيلا اللذَين أقاما محاكم التفتيش في الأندلس. جاء في هذه الرسالة: «خلال سبعة أعوام من الآن سيكون بمقدوري أن أُجهز لسموكم خمسة آلاف فارسٍ، وخمسين ألف راجلٍ لغزو بيت المقدس الذي من أجله شَرَعتُ في هذه المجازفة»[١].

وقبل هلاكه بيوم واحد صادَقَ كولمبوس على وصيته الأخيرة التي وَقَف فيها مبلغًا من المال «لتحرير القدس»[٢]!

من أشهر التنظيمات الفروسية الصليبية كذلك «تنظيم فرسان القبر المقدس»، وهو تنظيم نشأ في أثناء الحملة الصليبية الأولى على يد قائدها جودفري دي بويون، وأُقر من قبل الكنيسة عام ١١١٣م.

(١) Carol L. Delaney. Columbus's Ultimate Purpose: Jerusalem (Cambridge University Press, 2006), pp. 265, 266.

(٢) Delaney, Columbus's Ultimate Purpose: Jerusalem, p. 266.

ولا يزال هذا التنظيم قائمًا إلى يومنا هذا تحت إشراف البابوية مباشرة، ومقره الرئيس داخل دولة الفاتيكان. وقد كان منصب السيد الأعظم (أو الرئيس الأعلى) للتنظيم (Grand Master) حقًا بابويًا خالصًا إلى عام ١٩٤٩م، ثم وُكل إلى الكرادلة[١].

الرئيس الأعلى الحالي للتنظيم هو «نيافة الكاردينال» الأمريكي «إدوين أوبراين»، أما المسؤول الأعلى عن إدارة شؤون التنظيم في الأراضي المقدسة فهو بطريرك اللاتين في القدس «غبطة الكاردينال» «فؤاد طُوال». وبطريركية اللاتين هذه تمتلك لجنة خاصة تابعة لتنظيم القبر المقدس تدعى «لجنة الأرض المقدسة» تُشرف على مشاريع الأرض المقدسة نيابة عن البابوية[٢].

ولا يزال الغرب يعج بمثل هذه التنظيمات الصليبية تحت مسميات مختلفة كفرسان مالطة وفرسان الصوف الذهبي وفرسان كولمبوس[٣] والتنظيم اليسوعي.

---

(١) انظر الموقع الرسمي لتنظيم القبر المقدس على هذا الرابط (http://eohsj.net).

(٢) انظر الموقع الرسمي للبطريركية اللاتينية في القدس على هذا الرابط (http://ar.lpj.org).

(٣) من أشهر أعضاء هذا التنظيم «جب بوش»، شقيق الرئيس السابق «جورج بوش» الابن. وقد صرح «جب» مؤخرًا باحتمال ترشحه لانتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة، فتأمل!


الفصل الثالث

إحياءُ الصليبية وتأسيس النظام العالمي

في الخامس عشر من أغسطس عام ١٥٣٤م، وفي دَير «مونتمارتر» بباريس، تقاسم رهط من الروم على محاربة الإسلام، يرأسهم قديس إسباني أعرج تربى في بلاط المِلكين الصليبيين فرديناند وإيزابيلا، يدعى «إغناطيوس لويولا».

أخذ هذا القديس على أتباعه نذورًا ثلاثة، هي تلك التي كان يؤديها فرسان الهيكل (نذور الفقر، والتبتل، والطاعة)، وأضاف إليها «نذرًا رابعًا» تشمئز منه نفوس الأسوياء، ثم توجه إلى البابا بولس الثالث الذي أعلن اعتماد الكنيسة الكاثوليكية هذا التنظيم الإغناطي الذي يعرف باليسوعية، أو «جمعية يسوع» عام ١٥٤٠م. أما النذر الرابع، فصار عمدة عددٍ من الجماعات الباطنية السرية التي انبثقت عن الكنيسة الكاثوليكية فيما بعد كتنظيم فرسان كولمبوس.

الصراع الكاثوليكي البروتستانتي:

أخذ اليسوعيون على عواتقهم استعادة أمجاد الكنيسة الرومية، ودخلوا في معارك رهيبةٍ ضد من يخالفهم من البروتستانت في أوروبا بعد أن كان هدفهم الأصلي قتال الدولة العثمانية. وكان نفوذ الدولة العثمانية في هذه الحقبة قد بلغ دول البلقان، وبدأت

المواجهة بين هذه الدولة الإسلامية وبين إمبراطورية هابسبورغ الكاثوليكية في النمسا. فجاءت الحركة البروتستانتية لتفتح على الكنيسة الكاثوليكية جبهة داخلية قوية مواتية للمسلمين بالرغم من قلق زعماء البروتستانتية من الزحف الإسلامي.

في عام ١٥٤٥م عقدت الكنيسة الكاثوليكية مجمعًا يدعى «ترنت»، وكان الداعي إلى هذا المجمع هو اتساع الحركة البروتستانتية في أوروبا بشكل أنذر بفقدان الكنيسة نفوذَها على ممالك أوروبا. اعتبَر المجمعُ الحركةَ البروتستانتية بدعة وهرطقة، ولَعن أتباعها، وشرعت الكنيسة الرومية تستعد لمواجهة هؤلاء الخارجين على سلطانها.

بدأت في فرنسا «حروب الدين الفرنسية» بين الكاثوليك والبروتستانت بعد أن أصبح «الهيجونوت» البروتستانت يشكلون قوة سياسية فيها. وحدثت «مذبحة القديس بارثولوميو» عام ١٥٧٢م قتل فيها خمسة وسبعون ألفًا من الهيجونوت. وفي عام ١٥٨٩م طُعن الملك الفرنسي «هنري الثالث» لأنه «لم يتورع عن مقاومة النفوذ المتزايد للنبالة الكاثوليكية بتحالفه مع حزب الهيجونوت»[١]. ثم اغتيل خلَفُه «هنري الرابع» عام ١٦١٠م

(١) Rene Fulop-Miller. The Power and Secret of the Jesuits (New York: The Viking Press, 1930), p. 316.

عندما أصدر «مرسوم نانت» الذي ضمن للهيجونوت حرية العبادة والمساواة في الحقوق خلافًا لما نصت عليه عقيدة مجمع ترنت[١].

ولكن بالرغم من اغتيال الملك بقيت الكنيسة الكاثوليكية في صراع مع «مرسوم نانت» الذي أجبرهم على كف أيديهم عن بروتستانت فرنسا حتى تمكنوا من إلغائه عام ١٦٨٥م إبّان حكم الملك «لويس الرابع عشر». وبدأت السياسة القمعية ضد البروتستانت في فرنسا حتى إن الملك «لويس الرابع عشر» كان يتبجح بأنه خلال عام واحد لم يُبق في فرنسا سوى ١٠٠٠-١٥٠٠ من الهيجونوت. وهاجرت الطاقات والعقول البروتستانتية إلى بقية دول أوروبا وأمريكا الشمالية[٢].

أما في هولندا فكانت الكالفنية البروتستانتية في صعود، فأرسل «فيليب الثاني» عشرة آلاف جندي إسباني يقودهم «دوق ألبا»، وبإشراف جمعية يسوع أقيم «مجمع الفتن» كما يسمى، وبناء على توصيات هذا المجمع وفي «أقل من عقد أُبيد بأمره [أي فيليب

(١) Edwin Sherman. The Engineer Corps of Hell; Or Rome's Sappers and Miners (San Francisco, California: Private subscription, 1883), p. 86.

(٢) The Huguenots in France (New York: Harper & Brothers Publishers, 1874), pp. v-vii.

الثاني] في حجرات التعذيب وتحت المقاصل وعلى المحرقات مائتان وخمسون ألفًا من الرجال والنساء الهولنديين»[1].

توسعت أطماع الكنيسة الكاثوليكية لتصل إلى الحركة البروتستانتية في إنجلترا. وكان هدف الكنيسة أن تستبدل بالملكة البروتستانتيةِ «إليزابيث» الكاثوليكيةَ «ميري ملكة أسكتلندا»، لكن هذا لم يتحقق، بل حوكمت «ميري ملكة أسكتلندا» بتهمة التآمر مع عملاء البابوية وضُربت عنقها عام ١٥٨٧م بأمر من البرلمان الإنجليزي. هنا أمر «فيليب الثاني» بتعبئة الآلاف من الجنود الإسبانيين يحملهم أسطول «أرمادا» الشهير الذي مولته الكنيسة، وكان ذلك عام ١٥٨٨م. لكن ريحًا عاتية عصفت بهم فأهلكت منهم عشرين ألفًا وأغرقت السفن، ليُلقيَ اليمُّ حطام بعضها على سواحل إيرلندا وأسكتلندا.

وفي عام ١٦٦٨م ثار البرلمان البروتستانتي على الملك «تشارلز الأول» فيما يعرف بالثورة البيوريتانية (التطهُّرية) بقيادة «أوليفر كرومويل». انتصر كرومويل في معاركه ضد الكاثوليك في إنجلترا، أما مصير الملك «تشارلز الأول» فكان الإعدامَ بأمر من البرلمان الإنجليزي بتهمة الخيانة العظمى.

---

(١) Paassen, Pierre van. Days of our Years (Garden City Pub., 1942), 389.

وبعد وفاة القائد الإنجليزي «أوليڤر كرومويل» عادت أسرة «ستيوارت» الكاثوليكية لتحكم إنجلترا. وأصدر الملك «تشارلز الثاني» حكمًا بالإعدام على كل أعضاء البرلمان البروتستانتي الذين وقّعوا وثيقة إعدام أبيه «تشارلز الأول»، وقَتل الكثيرَ من الشعب.

نشأة الماسونية ومشروع العودة إلى القدس:

بعد وفاة «تشارلز الثاني» حاولت الكنيسة الكاثوليكية أن تُجلِس على عرش إنجلترا البروتستانتيةِ عميلَها الكاثوليكي جيمس الثاني، فثار الإنجليز البروتستانت عليه فيما عُرف بالثورة المجيدة. فلما رأى ذلك ألقى صوجانه في نهر التيمز وفرَّ إلى فرنسا في كنف «لويس الرابع عشر». وهناك في «كلية كليرمون» اليسوعية، تمكن اليسوعيون بالتعاون مع عائلة ستيوارت الكاثوليكية، من تأسيس «الطقس الأسكتلندي» الذي هو عمدة التنظيم الماسوني؛ فهو يشكل الدرجات العليا في ذلك التنظيم. وكان الهدف الرئيس من تأسيسه إعادة الكاثوليكية إلى إنجلترا، لكنه أصبح أداة لتجنيد الأتباع السريين للكنيسة الكاثوليكية، كما أكد على أهمية بيت المقدس الذي كان يومًا مقرَّ فرسان الهيكل الصليبيين.

في المحفل الفرنسي الأعظم، وفي عام ١٧٣٧م – أي بعد تسعة

أعوام فقط من تأسيس هذا المحفل، وعشرين عامًا من تأسيس المحفل الأعظم في إنجلترا - ألقى الماسوني الكاثوليكي، ومنظِّر الطقس الأسكتلندي، الفارس «رامزي» خطبته الشهيرة التي أعلن فيها ارتباط الماسونية بأصلها الصليبي فقال: «أسلافُنا الصليبيون (the Crusaders) الذين احتشدوا من كل أنحاء العالم النصراني في الأرض المقدسة، رغبوا أن يوحدوا أفراد كل الأمم في أخوية واحدة»[1]. أي أن الأخوية الماسونية هي امتداد لتلك التي ابتدأها فرسان الهيكل الصليبيون.

ثم تحدث عن هدف الماسونية الذي هو إقامة إمبراطورية رومية تجمع العالم كله تحت مظلتها، فقال: «وأيُّ حقوقٍ لا ندين بها لهؤلاء السادة [الصليبيين] الذين... تخيلوا مثل هذه المؤسسة [الماسونية] التي تهدف إلى توحيد العقول والقلوب... لتُشكل مع مرور العصور إمبراطورية روحية... يُخلق بها شعب جديد يتألف من أمم عديدة، لكنهم جميعًا يرتبطون في أمة واحدة بروابط الفضيلة والعلم». ولا تزال الماسونية إلى يومنا هذا تتغنى بفضائل مزعومة تحجب وراءها غرضها الحقيقي الذي هو العودة إلى قاعدة الآباء الصليبيين الذين أقاموا ببيت المقدس.

---

(١) Gould. Gould's History of Freemasonry through the World (NY: Charles Scribner's Sons, 1936) vol. III, p. 11-14.

ثم أشار رامزي إلى أصل الرموز الماسونية السرية كما يراها هو فقال: «لدينا أسرار، إنها الإشارات المجازية والكلمات المقدسة... كانت هذه كلماتِ حربٍ تبادلها الصليبيون ليأمنوا مباغتات مسلمي المشرق، الذين غالبًا ما تسللوا بينهم لقتلهم». وأخيرًا «ينبغي ألا يعتبر تنظيمُنا [الماسوني] إحياء للباخوسية[1]، وإنما تنظيمًا تأسس في الماضي السحيق، وتجدد في الأرض المقدسة...»[2].

فهل بقي لأحد أن يماري في أن الدرجات الماسونية العليا لم تكن سوى إحياء لصليبية فرسان الهيكل في حين كان اليهود يذادون عن المحافل الماسونية كما تذاد غرائب الإبل؟!

كان «رامزي» قد اعتنق الكاثوليكية على يد الكاثوليكي الرومي «فينيلون» كبير أساقفة «كامبري»، وقُلد درجة «فارس» في «تنظيم القديس إليعازر الأورشليمي»[3]، بعدها أصبح معلمًا خاصًا ومؤدِّبًا لاثنين من أحفاد الملك الكاثوليكي المنفي «جيمس الثاني»! يقول حجة الماسونية «ألبرت ماكي»:

---

(١) طقوس إله الخمر الرومي «باخوس».

(٢) Gould. Gould's History of Freemasonry through the World (NY: Charles Scribner's Sons, 1936) vol. III, p. 11-14.

(٣) تنظيم عسكري أنشئ أصلًا في فلسطين إبان الحروب الصليبية، ثم انتشر في أوروبا.

«من غير المستبعد أن يكون [رامزي] قد أُشرب حب التأمل الباطني ثم طوَّره باعتباره مخترع الدرجات الماسونية ومؤسس أحد طقوسها... ما من أحد لعب دورًا في تاريخ الماسونية في القرن الثامن عشر يفوق دور الفارس رامزي. وتأثير آرائه وتعاليمه لا يزال يُلمس في الدرجات العليا التي تبنتها الطقوس العديدة التي تقسَّم إليها الماسونية الآن... [كان] متعلقًا تعلقًا وثيقًا بأسرة ستيوارت المنفية... فيما يتعلق بتأثير جهود رامزي على الماسونية، أعتقد أنه لا يمكن للعقول النزيهة أن يكون لها رأيان»[1].

هذه العلاقة بين الماسونية والصليبية، والتي نظَّر لها «رامزي» في خطبته الشهيرة، أشارت إلى مثلها «نِستا وِبستر» في كتابها «الجماعات السرية» - نقلًا عن الماسوني البارون «تشودي» - قائلة:

«إن الأصل الصليبي للماسونية هو ما يُدرّس رسميًا في المحافل [الماسونية]، حيث يُعلّم المرشح لدخول التنظيم أن العديد من الفرسان الذين كانوا قد خرجوا لإنقاذ البقاع المقدسة في فلسطين من أيدي المسلمين «شكلوا اتحادًا تحت اسم البنائين الأحرار [الماسون] مشيرين بهذا إلى أن رغبتهم الأساسية كانت إعادةَ بناء هيكل سليمان»»[2].

(١) Albert Mackey. Encyclopedia of Freemasonry (Philadelphia: Moss & Company, 1874), p. 628.

(٢) Webster, Nesta. Secret Societies and Subversive Movements, p. 154.

كما يذكر الماسوني «ماكي» في موسوعته أنه «كان ثمت بين الماسونية والحملات الصليبية علاقة أكثر حميمية مما يُتصور عادة»(١). وهو إقرار غير مباشر بأن الماسونية إنما ارتبطت بالرومية الصليبية لا اليهودية كما يشاع.

وهذا العلاَّمة الماسوني «جوهان يواقيم كريستوف بود» يرى «أن التنظيم [الماسوني] اختُرِع من قبل اليسوعيين في القرن السابع عشر كوسيلة لإعادة الكنيسة الرومية في إنجلترا، ودثروها لتحقيق أغراضهم بدثار الهيكلية [عقيدة فرسان الهيكل]»(٢).

أما «طقس يورك» - الذي يقابل الطقس الأسكتلندي - فهو رومي بلا ريب؛ فإن أعلى درجاته هي «تنظيم الصليب الأحمر» فوقه «تنظيم فرسان مالطة» فوقه «تنظيم فرسان الهيكل». وأما عدم السماح لغير النصارى ببلوغ الرتب العليا في الهرم الماسوني فحقيقة عبَّر عنها «بلانشارد» عند حديثه عن عملاء الماسونية من اليهود بقوله: «... ما من يهودي صادقٍ يُسمح له بالرقي فوق درجة السيد الماسوني، نظرًا لدينه»(٣).

---

(١) Mackey, Albert. Encyclopedia of Freemasonry (Philadelphia: Moss & Company, 1874), p. 198.

(٢) Mackey, Albert. Encyclopedia of Freemasonry, p. 120-121.

(٣) Blanchard, John. Scotch Rite Masonry Illustrated, vol. I, p. 64.

خلاصة القول أن الماسونية أَسَّست لفكرة «الحكومة العالمية الواحدة» التي انطلقت من أخوية فرسان الهيكل إبان الحروب الصليبية لتعود إلى «الهيكل» يومًا ما. هذه الحكومة العالمية في نظر الإمبراطورية الرومية كما سنرى هي الطريق الأوحد إلى السلام العالمي. إذا علم هذا تبين مراد الماسوني «جون روبنسون» عندما اقترح حلًا لمشكلة القدس بقوله:

«إن ما أقترحه هو أن يقوم خمسة ملايين ماسوني في العالم تقريبًا، والذين يَقبلون الإخاء مع أتباع كل الأديان، بأخذ زمام المبادرة في حل مشكلة جبل الهيكل [القدس الشريف] عن طريق توحيد مواقفهم الدينية من خلال إجلالهم لـ(هيكل سليمان)، وذلك لمصلحة العالم أجمع. ستكون رحلة طويلة ومكلفة من الغرب إلى الشرق، لكنها ستُضفي معنى جديدًا لكل أحد يجعل من نفسه لَبِنة تامة تأخذ مكانها في (هيكل الرب). ستكون طريقة عجيبة لإتمام (هيكل سليمان) الذي لم يتم بعد، وإتمام شوطٍ كاملٍ من الطواف يعود إلى الغرض الأول للأسلاف - فرسان الهيكل - الذين كانوا أمانَ العابرين من الحجيج إلى تلك البقعة المقدسة»[1].

---

(١) John J. Robinson. Born in Blood: The Lost Secrets of Freemasonry (M. Evans & Co., 1989), p. 344.

الأب الكاثوليكي «شارل إيرينيه كاستيل» يضع قواعد المشروع:

ولد «شارل إيرينيه كاستيل دي سان بيير» في مدينة سان بيير الفرنسية عام ١٦٥٨م[١]، وتلقى تعليمه في كلية «كاين» اليسوعية. التحق بالأكاديمية الفرنسية عام ١٦٩٥م، وبعدها بسبعة أعوام عُين مرشدًا دينيًا في بلاط دُوقةِ أورليان التي منحته رئاسة دير تيرون الشهير[٢].

كان هذا الأب الكاثوليكي يجلس بانتظام في صالون «مدام دوبان» يلقي محاضراته حول كتابه الشهير «مشروع السلام الدائم» Projet de Paix Perpetuelle الذي دعا فيه إلى سلام شامل من خلال اتحاد عالمي. وسأعرض خلاصة فكرته كما أوجزها الباحث المختص «ماركو دي لوكيتي» في رسالة له حول مشاريع الاتحادات العالمية بتصرف يسير:

تساءل الكاهن سان بيير: ماذا لو استطاعت أوروبا أن تشكل اتحادًا، ثم تبعها تشكيل اتحاد عالمي؟[٣] يمكن لهذا الاتحاد الجديد

---

(١) "Saint-Pierre, Charles-Irénée Castel, Abbé de." Encyclopedia Britannica (Chicago: 2012).

(٢) David Williams, ed. The Enlightenment (Cambridge University Press, 1999), p. 355.

(٣) فكرة الاتحاد الأوروبي قديمة كما ترى. وقد نص سان بيير في بعض كتبه كـ«مختصر مشروع السلام الدائم» على ضرورة أن يكون ثمت تحالف بين «زعماء النصارى» أولًا.

أن يفرض سلامًا دائمًا. ولكن قبل أن يُفرض السلام يرى «شارل سانت بيير» أن «من الضروري في البداية أن تَفرض الصمت على العالم بأسره... حينها يتيقن الناس سلطان وعقلانية الاتحاد داخل كل دول أوروبا». ولِفرض هذا الصمت على من يخالف من دول العالم، دعا «بيير» إلى قوة ساحقة «تعاقب الأمم التي ترتكب أي تجاوزات بحق السلام» ومن هذه التجاوزات عدم انضمامها إلى هذا الاتحاد العالمي[1].

لقد كان «سان بيير» ينظر إلى المشروع باعتباره أداة قائمة ومطردة تنسف كل معارضة إما بالتراضي وإما بالتهديد بالمَحْق، حتى يخاف زعماء الدول من عدم الانصياع، وهذا الخوف هو «الخيار الأقوى الذي يدفع الناس إلى الحراك». كما أن القانون الدولي سيُصدِر اعترافه بأن مواطني الدولة المتمردة على الاتحاد العالمي لن يعودوا ملزَمين بها، وإنما بالجمهورية العولمية الجديدة. وهكذا أوجد مشروعُ الاتحاد العالمي حق تقويض أو إسقاط دولة مجاورة إذا لم تتحد معك؛ بحجة أنك إنما تُروِّج للسلام العالمي[2].

---

(١) Abbé St. Pierre, Projet de Paix Perpetuelle (Utrecht: Schouten, 1717) I, 250, 292 & III, 51-52, quoted in Marco di Luchetti. Ideas of World Federation 1717-1743 (n.p.), p. 1.

(٢) Marco di Luchetti. Ideas of World Federation 1717-1743 (n.ph.), p. 1.

أخذ عن «سان بيير» بعض مشاهير فلاسفة التنوير، لكن «جان جاك روسو» كان التلميذ الأنجب، إذ أعاد طباعة كتاب سان بيير «مشروع السلام الدائم» وعلق عليه، بل روج للحكومة العالمية التي تصورها أُستاذه.

سار على نهج روسو الفيلسوف الألماني عمانويل كانط (أو كانْت) الذي قال في كتابه «فكرة تاريخ كوني ذي غاية عولمية»: «إن الحرية لا تحصل إلا بقوانين يشُدُّها معًا عنفٌ لا يقاوَم. نحن حاليًا متمدنون لكننا لا نسير على منهج أخلاقي... إن الطبيعة توجهنا بشكل غير مباشر، تسوقنا بعداوة الحروب لنصبح متحدين؛ وتدفعنا الحروب دون أن تقصد ذلك، ولكن بجهد ومعاناة، إلى تشكيل عصبةِ أُمم (Völkerbunde)[1] كما عرَضها (سانت بيير) و(روسو)»[2].

ثم يقول كانط في نهاية بحثه: «إن تاريخ العالم يتخذ مسارًا، هو الدولة العولمية... لقد بدأ التنوير يخترق الحكومة، وسوف تتشكل الدولة العولمية. فبالرغم من أن الكيانات الحكومية تقدم مجرد بداية أولية بسيطة لهذا المخطط...، إلا أن المؤمَّل أن يكون ثمت إعادةُ هيكلةٍ بعد عدد من الثورات، وأخيرًا نحقق غاية الطبيعة الأسمى،

(١) وهو الاسم الذي اتُّخِذ فيما بعد كما هو معلوم.

(٢) J. G. Herders. Ideen zur Philosopie der Geschichte der Menschheit (Berlin: Deutsche Bibliothek, 1784), p. 331.

دولة عولمية شاملة تكون كالرحم الذي تنمو فيه كل أجهزة الإنسان الأولى لكنها تخرج إلى الوجود مجتمعة»[١].

خلاصة ما سبق أن القرن الثامن عشر شهد توجهًا صريحًا من قِبَل الماسونية وبعض الشخصيات الكاثوليكية كالفارس رامزي والأب سان بيير إلى إقامة حكومة عالمية تمتلك مفاتيح الحل والعقد؛ وكان ممن تأثر بهذه الفكرة بعض فلاسفة التنوير. أما كانط فنص على أن حكومة العالم الواحد لن تخرج إلى الوجود إلا بطريق العنف، وبعد عدد من الثورات، وأن بأس الحروب هو الذي يدفع الناس إلى السعي إلى السلام العالمي الدائم والشامل[٢] الذي تحققه الحكومة العالمية.

النظام العالمي الجديد:

لم ينتظر اليسوعيون سوى بضع سنين ليضعوا اللبنات الأولى لمشروع الحكومة العالمية. فإنه لما حُظر التنظيم اليسوعي من قبل البابا «كلمنت الرابع عشر» عام ١٧٧٣م، وجد اليسوعيون في ألمانيا ملجأ آمنًا في كنف الملك الماسوني «فريدريك الثاني»، كما منحهم ذلك فرصة لنسج الشبكة الخفية التي جمعت ماسونية الدرجات العليا مع

(١) J. G. Herders. Ideen zur Philosopie, p. 335.

(٢) «سلام دائم وشامل» أو «سلام عادل وشامل» من العبارات التي يرددها الإعلام كثيرًا ولا يدرك حقيقتها إلا من فهمها في سياقها القديم المرتبط بالدولة العولمية كما بينا.

التنظيم اليسوعي الذي أسسها في خندق واحد هو الـ«إلوميناتي» أو «المتنورون». تقول «نستا وبستر»:

«إن أقدم وأخطر اتحاد هو ما يعرف عمومًا باسم «المتنورين» والذي يعود تأسيسه إلى منتصف القرن الماضي [الثامن عشر]. كان مهْدُه «بافاريا» [بألمانيا]، ويقال بأن من بين مؤسسيه العديدُ من زعامات تنظيم اليسوعيين»(١).

ويقول المؤلف الماسوني «روبرت ماكوي» إنه «بعد أن سقط تنظيم يسوع [اليسوعية] من مكانته الرفيعة [بسبب الحظر البابوي] وأصبح جمعيةً سرية من الثوار والمدبِّرين فكر بعض الرجال الغيورين والمتحمسين في أن يستبدل به تنظيمًا جديدًا... فتشكلت جمعيتا الـ«إلوميناتي» [المتنورون] والـ«روزيكروشيّة» [الصليب الوردي] لهذا الهدف والقصد. وكان خبراء الـ«إلوميناتي» محكومين من قبل قوانين مطابقة تقريبًا لقوانين اليسوعيين...»(٢).

أما مؤسس تنظيم «المتنورين» الألمانيِّ المنشأ فكان اليسوعي «آدم وايسهاوبت» أستاذ القانون الكنسي بجامعة «إنجولشتات»(٣).

---

(١) Nesta Webster. Secret Societies and Subversive Movements, p. 272.

(٢) Macoy, Robert. General History, Cyclopedia & Dictionary of Freemasonry (New York: Masonic Publishing Company, 1872), p. 182.

(٣) Chisholm, Hugh. Ed. The Encyclopedia Britannica (1910) vol. XIV, p. 320.

يقول عنه الماسوني «ألبرت ماكي»: «وظَّف في بناء اتحاده [الـ«إلوميناتي»] الدهاء والخفاء اللذَين ميَّزا أتباع لويولا؛ ولما قُبل عام ١٧٧٧م في محفل في ميونيخ استعار له [أي الاتحاد] أيضًا التنظيم الروحي الخاص بالماسونية»[1].

كان هدف هذا الاتحاد هو الشروع فيما نظَّر له الماسون وسانت بيير وغيرهم من إقامة إمبراطورية عولمية، والقضاء، عن طريق الثورات والحروب، على الممالك المستقلة؛ وهذا الهدف هو ما أصبح يعرف بـ«النظام العالمي الجديد». ولا يتسع المقام للدخول في تفاصيل الثورة الفرنسية وكيف أنها كانت محاولة لتطبيق سياسة «الفوضى الخلاقة» التي سبقت كل محاولات إقامة مشروع «الحكومة العالمية»، لذا سأكتفي ببعض الإشارات[2]. يقول «جيمس روبيسون» الذي عاصر نشأة الـ«إلوميناتي»:

«... تم تشكيل اتحادٍ يهدف صراحة إلى استئصال كل المؤسسات الدينية، والإطاحة بكل حكومات أوروبا القائمة. لقد رأيتُ هذا الاتحاد يبذل وسعه بحماس ونظام حتى أصبح الآن لا يقاوم. ورأيت أن أكثر القادة فاعلية في الثورة الفرنسية كانوا أعضاء في

(١) Mackey, A. Encyclopedia of Freemasonry, p. 395.
(٢) سأفرد للثورة الفرنسية كتابًا مستقلًا في قابل الأيام إن شاء الله.

هذا الاتحاد، وأداروا تحركاتهم الأولى وفقًا لمبادئه وبواسطة تعاليمه وعونه»[١].

ومثل هذا ذكره «جورج ديلون» في كتابه «كشف اللثام عن ماسونية الشرق الأعظم»، بقوله:

«سبق وأن قلت: إن القادة الثوريين في فرنسا كانوا كلهم من الـ(إلوميناتي) [المتنورين]، أي أنهم ماسون خُلَّص، غايتهم تدمير كل دين كائنٍ أو شكل من أشكال الحكومة اللادينية في سبيل تأسيس جمهورية ملحدة اشتراكية تمتد خلال العالم وتشمل كل البشر»[٢].

ارتبط تنظيم الـ«إلوميناتي» اليسوعي الماسوني بالـ«الخاتم العظيم» The Great Seal الذي أصبح شعارًا له، وصُمم الشعار في الولايات المتحدة بعد مساهمة ثلاث لجان، و»كل اللجان الثلاث التي عُينت تباعًا من قبل الكونجرس بين عامي ١٧٧٦ و ١٧٨٢م ضمت أعضاء يشغلون مناصب شتى في الماسونية» كما يؤكد «ماكس توث»[٣].

---

(١) James, Robison. Proofs of A Conspiracy (Philadelphia: 1798), p. 12.

(٢) Dillons, George. Grand Orient Freemasonry Unmasked (Britain's Publishing Company, 1965), p. 70.

(٣) Max, Toth. Pyramid Prophecies (Inner Traditions/Bear & Company, 1988), p. 24.

يصور «الخاتم العظيم» بناءً شُرع في تأسيسه عام MDCCLXXVI (الأرقام الرومية التي تظهر في قاع الهرم). يمثل هذا البناء هرمًا فرعونيًا تعلوه عين مشعة. مكتوب في أعلى الهرم باللغة اللاتينية (الرومية): ANNUIT CŒPTIS وتعني «يَستحسِنُ المشروعَ». أما الاسم الذي أطلق على المشروع فهو NOVUS ORDO SECLORUM وهي عبارة لاتينية تترجم عادة بـ«النظام العالمي الجديد»[1]. هذا هو محتوى الخاتم فإلام يشير؟

أما التاريخ الذي كتب بالأحرف الرومية فهو تاريخ إنشاء تنظيم «المتنورين» (إلوميناتي) اليسوعي عام ١٧٧٦م. وأما الهرم فهو الهيكل الذي ارتبط بعبادة الشمس عبر العصور. وهذا يعني أن هذا المشروع يسعى لإحياء عبادة الشمس، وهو ما تؤكده «عين حورس» التي تعلو الهرم وينبثق منها «النور»؛ وقد بينت هذا في غير هذا الموضع. وأما جملة «يَستحسِن المشروع» فلم يُسمَّ فاعلُها بل تُرك للحصيف أن يتبينه من الشعار الذي يجعل «عين حورس» بين جزئي الجملة. أطلق على هذا المشروع «النظام العالمي الجديد» علمًا بأن الكلمة ORDO تعني الـ«نظام» ضد الفوضى كما تعني أيضًا «تنظيم» كما في «تنظيم اليسوعية».

(١) والصواب أن تترجم «التنظيم الجديد [لكل] العصور».

بتصور المشروع المسمى بالـ«النظام العالمي الجديد» ووضعه في سياق ما سبق الحديث عنه من مشروع «الدولة العولمية»، وشهادات العلماء بأن تنظيم «المتنورين» يسعى إلى استئصال الأديان المخالفة والحكومات المعارضة يمكن لنا أن نوجز فكرة هذه الدولة العولمية أو «النظام العالمي الجديد» في أنها: مشروع كاثوليكي عالمي، يهدف إلى أن يستبدل بالحكومات القومية المستقلة حكومةً عالمية شاملة، تقوم على عقيدة رومية وثنية، وتتحكم في السياسة والاقتصاد العالميين، وتتخذ من القدس عاصمة لها. وسيأتي بيان ما يتعلق بالقدس لاحقًا.

لقد صرحت الموسوعة الكاثوليكية بحقيقة غاية في الأهمية تلخص الثورة الفرنسية وما ترتب عليها. هذه الحقيقة هي أن «الثورة الفرنسية (١٧٨٩م) أسقطت كل العروش التي اتحدت ضد اليسوعيين، وفي كروب هذه المحنة، تعالت الصرخات المطالبة بإعادة التنظيم [اليسوعي]»[1]. وبعبارة أكثر إفصاحًا: كانت الثورة الفرنسية انتقامًا من القوى التي حظرت التنظيم اليسوعي، وهو ما يدلك على القوة الخفية التي حركتها، أعني اليسوعية وربيبتها

(١) John Hungerford Pollen. "The Jesuits during the Interim (1773-1814)." The Catholic Encyclopedia. Vol. 14. (New York: Robert Appleton Company, 1912), 17 Dec. 2014.

«ماسونية الدرجات العليا». ولذا كان رفع الحظر عن التنظيم اليسوعي هو الحل الوحيد لإعادة استتباب الأمن.

أعيد تنظيم اليسوعيين عام ١٨١٤م بأمر من البابا «بيوس السابع»، واستؤنفت معه المؤامرات ضد الشعوب التي أثقلها نير الاستعباد الكنسي باسم الخلاص. وفي العام نفسه عقد «مؤتمر فيينا» Congress of Vienna في النمسا عام ١٨١٤م الذي يعده المؤرخون السياسيون حلقة رئيسة في بناء «الحكومة العالمية»؛ وكان من أهم قرارات هذا المؤتمر تأسيس «التحالف المقدس» عام ١٨١٥م، والذي استهل دستوره بعبارة «باسم الثالوث الأقدس الذي لا يتجزأ»[١].

تقول الموسوعة الكاثوليكية: «عندما أصبحت صيغة الاتفاقية معروفة في مطلع عام ١٨١٦م، رأى الناس في التحالف نتيجة للاتحاد الأوثق بين السياسة والدين. وشَكَّ العالم، إلى حد ما، في أن الاتحاد يُخفي رابطة تضم الحكام والكنائس، وبالأخص الحكام والبابوية في مواجهة الأمم وحرياتها...»[٢].

---

(١) Walter Phillips. The Confederation of Europe (NY: Longmans, Green and Co., 1920), Appendix, p. 305.

(٢) Martin Spahn. "Holy Alliance." The Catholic Encyclopedia, vol. 7. (New York: Robert Appleton Company, 1910), 17 Dec. 2014.

عُرفت حالة «توازن القوى» التي أعقبت الثورة الفرنسية والحروب النابليونية إلى قيام الحرب العالمية الأولى بالتفاهم الأوروبي (Concert of Europe)، تخللها عدد من الاضطرابات كحرب القرم (١٨٥٤م)، والحرب النمساوية البروسية (١٨٦٦م)، والحرب الفرنسية البروسية (١٨٧٠م). وكان مؤتمر برلين (١٨٧٨م) آخر أهم أعمال هذا التحالف الأوروبي. ومع أهمية هذه الأحداث في فهم أسباب قيام الحرب العالمية الأولى ثم الثانية إلا أنني سأتجاوز ذلك كله لعدم ارتباطه مباشرة بمشروع الدولة العالمية أو «حكومة العالم الواحد».



الفصل الرابع

الحرب طريق السلام

الحرب طريق السلام

رأت الكنيسة الرومية الكاثوليكية في إشعال الحرب العالمية الأولى التي استمرت من عام ١٩١٤م إلى عام ١٩١٨م فرصة مواتية لها لتضع قدميها في بلاد البلقان حيث النفوذ الصربي الأرثوذكسي المتزايد. ولهذا تدخلت في أحداثها الأولى بكل قوة. يعلق السياسي الإيطالي الكونت «سفُورْزا» على هذا التوجه العدائي من قبل الكنيسة بقوله:

«لأحد أن يتساءل: لم تتبنى الكنيسة الكاثوليكية مثل هذا الموقف المولَع بالحرب؟ والإجابة يسيرة جدًا: إن البابا ورجاله يرون في صربيا داءً فتاكًا استطاع شيئًا فشيئًا أن يخترق إلى نخاع المَلَكية، وسينتهي بدوره إلى تفكيكها... إن النمسا/ المجر ستَظل الدولةَ الكاثوليكية بلا منازع، وسندَ الدين الأقوى الذي تبَقّى للكنيسة. وبالنسبة للكنيسة فإن سقوط هذا السند سيعني خسارةَ أقوى دعائمِها... في ظل هذه الحقيقة، ليس من الصعب إيجاد علاقة بين المشاعر الرسولية وروح الحرب»[1].

لكن تداعي الصرح البابوي في أعقاب الحرب الفرنسية البروسية عام ١٨٧٠م وهزيمة نابليون الثالث ذراع الكنيسة

---

(١) Pierre Dominique. La Politique des Jesuites, p. 247.

العسكري أضعف موقف الكنيسة وحَدَّ من نفوذها في الحرب العالمية الأولى، فلم تخرج منها بما كانت ترجوه من مغنم. لكن هذه الحرب - كما يرى آفرو منهاتن - فتحت لها أفاقًا في التعامل الدبلوماسي الذي سعت من خلاله دائبة لإسقاط الدولتين العثمانية الإسلامية والقيصرية الروسية الأرثوذكسية.

عقدت في مايو من عام ١٩١٦م، أي في أثناء الحرب، اتفاقيةُ سرية لاقتسام الهلال الخصيب بعد سقوط الدولة العثمانية. تَفاوضَ حول بنود الاتفاقية البريطاني الكاثوليكي (الذي تلقى تعليمه في كلية بيومونت اليسوعية) السير مارك سايكس، والفرنسي الكاثوليكي أيضًا فرنسوا جورج بيكو. ولأجل هذين الاسمين الكاثوليكيين عرفت هذه المؤامرة السرية باسم «اتفاقية سايكس-بيكو».

وفي شهر نوفمبر من عام ١٩١٧م أصدر بلفور إعلانه الشهير الذي وعد فيه بمنح اليهود وطنًا قوميًا في أرض فلسطين. وبدأ مشروعُ الحكومة العالمية الموحدة يتبلور بشكل أكثر واقعية من ذي قبل، وبالصورة التي رسمها الماسون قبل مائتي عام، والتي تستدعي عودة الصليبيين إلى بيت المقدس.

في شهر ديسمبر من عام ١٩١٧م، أي بعد «إعلان بلفور» بشهرٍ واحد، احتلت القوات البريطانية الصليبية بيت المقدس

بقيادة الجنرال إدموند ألِنْبي صاحب المقولة الشهيرة: «الآن انتهت الحروب الصليبية». وهكذا عادت القوات البريطانية لتُحيي ذكرى «مملكة القدس» الرومية الصليبية التي أسقطها صلاح الدين الأيوبي في القرن الثاني عشر الميلادي.

عصبة الأمم: باكورة العولمة:

خلَّفَت الحرب العالمية الأولى ملايين القتلى، وأورث تسابق التسلح قلقًا غير مسبوق؛ فآن أوان الإعلان عن منظمة عولمية تحفظ السلام، واجتمعت القوى الكبرى في أعقاب الحرب لتأسيس هذه المظلة العولمية التي ستمنع اندلاع الحروب ثانية. وهذا تمامًا ما أشار إليه كانط عام ١٧٨٤م من أن الحروب هي التي ستُلجِئ الدول إلى قبول الحكومة العالمية.

يقول كانط في كتابه «فكرةُ تاريخٍ كوني ذي غاية عولمية»: «إن الطبيعة توجهنا بشكل غير مباشر، تسوقنا بعداوة الحروب كي نصبح متحدين؛ وتدفعنا الحروب دون أن تقصد ذلك... إلى تشكيل (عصبةِ أُمم) كما عرَضها (سانت بيير) و(روسو)»[١]. وكان ما نظَّر له بالفعل عندما تأسست «عصبة الأمم» عام ١٩١٩م على غرار «التحالف المقدس».

---

(١) J. G. Herders. Ideen zur Philosopie, p. 331.

أما الدولة العثمانية فقُطعت أوصالها وتُركت نهبًا للدول الرومية الصليبية، وكانت فلسطين كما أسلفنا من نصيب بريطانيا التي فرضت انتدابها عام ١٩٢٠م وجعلت من القدس عاصمة لها. ثم أُقر هذا الانتداب من قبل عصبة الأمم عام ١٩٢٢م واستمر إلى عام ١٩٤٨م.

انطلقت أصوات الساسة الغربيين تُروج لهذا المشروع الجديد القديم الذي رؤيت إرهاصاته بقيام عصبة الأمم. ففي عام ١٩٢٢م وفي مجلة «الشؤون الخارجية» التي يصدرها «مجلس العلاقات الخارجية» الأمريكي دعا «فيليب كير» إلى ضرورة إقامة الحكومة العالمية الموحدة قائلًا: «من الواضح أنه لن يكون هناك سلام أو ازدهار للبشرية ما بقيت مقسمة إلى ٥٠ أو ٦٠ دولة حتى يكون هناك نظام عالمي بشكل من الأشكال... إن المشكلة الحقيقية اليوم هي [إقامة] الحكومة العالمية»[١].

وفي عام ١٩٣١م ألقى المؤرخ «أرنولد توينبي» كلمة في «معهد دراسات الشؤون الدولية» في كوبنهاجن أقر فيها بما يدور من اتفاقات سرية لفرض حكومة عالمية قائلًا: «إننا في الوقت الحاضر

---

(١) Hamilton Fish Armstrong. The Foreign Affairs Reader (Pub. for the Council on Foreign Relations by Harper, 1947), p. 75.

نعمل بطيِّ الكتمان وبكل ما أوتينا من قوة لانتزاع هذه القوة السرية التي تسمى «سيادة» من قبضة دول العالم المستقلة. وفي كل مرة ننكر بألسنتنا ما تصنعه أيدينا»[١].

دور الصهيونية في إنجاح المشروع:

لم تكن الصهيونية يومًا جبهةً معارِضةً للمشروع الرومي العولمي، بل هي الوجه الآخر منه، والعنصر الذي لا ينهض إلا بوجوده. فقد كتب أبو الصهيونية اليهودي المجري «ثيودور هرتزل» في مذكراته عام ١٨٩٥م قائلًا: «قبل عامين، أردت أن أحل المسألة اليهودية، في النمسا على الأقل، بمساعدة الكنيسة الكاثوليكية. كنت أرغب في أن أرتب لقاء مع البابا وأقول له: أعِنَّا على المعادين للسامية، وأنا سأقود حركة كبرى لتحويل اليهود إلى النصرانية أحرارًا أعزَّة»[٢].

رأسُ الصهيونية يقود حركة كبرى لتحويل اليهود إلى النصرانية؟ نعم. فالحركة الصهيونية حركة استعمارية رومية وظفت يهود العالم لخدمتها، بينما صورها الغرب أمام الشرق بأنها طوفان يهودي عاد ليكتسح الأرض المقدسة ويستعيد تراث بني إسرائيل! ولا أدري

(١) Royal Institute of Intl. Affairs, et al. International affairs (Blackwell, 1931), vol. X, p. 809.

(٢) Marvin Lowenthal, trans. The Diaries of Theodor Herzl (NY: The Universal Library, 1962), p. 7.

كيف أصبح اليهود الذين فرطوا في الأرض المقدسة بصحبة الأنبياء حريصين على استعادتها مع هرتزل؟ إلا أن يكون فهمنا للتاريخ خاطئًا.

إن كثيرًا من المسلمين لا يعلمون أن هرتزل - كما دوَّن في مذكراته - استجدى البابا بيوس العاشر قائلًا: «أيها الأب الأقدس، إن اليهود في أزمة فظيعة، ولا أدري إن كان قداستك يعلم قدر مأساتهم. إننا بحاجة إلى أرض لهؤلاء المنكوبين.» فلما سأله البابا: «هل يُشترط أن تكون أورشليم [القدس]؟» أجاب أبو الصهيونية: «إننا لا نريد أورشليم، وإنما فلسطين، الأرض غير الدينية (the secular land)»[1]. أي أرض فلسطين باستثناء البقاع المقدسة، وهو ما أكده في موطن آخر من مذكراته[2].

ومن قرأ مذكرات الدُّنيوي ثيودور هرتزل أدرك أن شخصيته لا تختلف كثيرًا عن الهيروديين الذين أرادوا أن تكون لهم حظوة عند أسيادهم من الروم، بينما رضوا بما كان يسقط من فتات موائد أربابهم. وهذا من الذلة والمسكنة التي ضربها الله عليهم كما قال في كتابه: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ

(١) The Diaries of Theodor Herzl, p. 429.

(٢) The Diaries of Theodor Herzl, p. 419.

النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] ، فهي ملازمة لهم وإن سكنوا البروج المشيدة. قال ابن زيد رحمه الله: «واليهود لا يأمنون في أرضٍ من أرض الله إلا بهذا الحبل... فليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم فوق يهود في شرق ولا غرب، هم في البلدان كلها مستذَلُّون»(١).

الشاهد أن الصهيونية كانت مشروعًا غربيًا لاحتواء اليهود والتخلص من وجودهم الطفيلي في أوروبا بينما يتم توظيفهم لخدمة الاستعمار. فكما أعاد الملك كورش يهود بابل إلى فلسطين بعد أن سباهم بختنصّر وجعل عليهم من كبار عملائهم من يدير شؤونهم، أرادت الصهيونية أن تصنع نفس الشيء فكانت زعاماتها دنيوية (علمانية) غربيةِ الهوى كالمجري هرتزل والروسي فلاديمير جابوتينسكي. وأهم عمل يمكن أن يقوم به اليهود في فلسطين مناكفة المسلمين على البقاع المقدسة إلى أن يكتمل مشروع تدويل أو بالأحرى «تَروِيْم» القدس، بينما تتخلص أوروبا من فائض بشري غير مأسوف عليه.

أما بخصوص أهمية القدس لمَنَظّري عصبة الأمم فهي أنها عاصمة المشروع! وهذا ما أكدته الكاتبة «إيديث ميلر» في كتابها «الثيوقراطية الباطنية» الذي نُشر بعد وفاتها عام ١٩٣٣م، إذ قالت:

---

(١) تفسير الطبري، دار المعارف (٧/ ١١٢).

«إننا على علم بأن اللورد «روبرت سيسيل» (رئيس اتحاد عصبة الأمم) قد تنبأ في خطاباته التي ألقاها في الولايات المتحدة داعماً عصبة الأمم بأنها في نهاية أمرها ستجعل من القدس مقرًا رئيسًا لها»[١]. والحقيقة أنه لم يكن «يتنبأ»، وإنما كان يعلن خطة قديمة.

الحرب العالمية الثانية:

في عام ١٩٣٣م تمكن حزب الوسط الكاثوليكي الألماني «سنتروم» من إحراز السلطة لـ«هتلر». يقول «إدموند باريس»: «بفضل (فون بابن) - عضوِ الـ(سنتروم) منذ عام ١٩٢٠م والمالكِ لصحيفة الحزب الرسمية (جرمانيا) **Germania** - اعتلى (هتلر) السلطة في الثلاثين من يناير ١٩٣٣م»[٢].

كان الكاثوليكي «فون بابن» هو الوسيط المفاوض في الاتفاقية البابوية التي عقدت بين البابا «بيوس الثاني عشر» وبين «هتلر»، وهو الذي أعلن عام ١٩٤٣م أن «الرايخ الثالث [ألمانيا النازية] هو السلطة الأولى التي لا تعترف فحسب بالمبادئ العليا للبابوية بل تطبقها»[٣].

---

(١) Lady Queenborough. Occult Theocracy (South Pasadena, California: Emissary Publications, 1980), p. 639.

(٢) Paris, Edmond. The Vatican against Europe, p. 95.

(٣) Lehman, Leo H. Behind the Dictators, p. 35.

وعليه فلا يستغرب أنْ قال «هتلر»: «لقد تعلمت أكثر ما تعلمت من التنظيم اليسوعي... إلى الآن ليس ثمت على وجه الأرض ما هو أكثر مهابة وجلالًا من المنظومة الكهنوتية للكنيسة الكاثوليكية». ثم أضاف: «لقد نقلت جزءًا كبيرًا من تلك المنظومة مباشرة إلى حزبي الخاص بي... سأبوح لكم بسر: إنني أقوم بتأسيس تنظيم»[١].

لقد كان هتلر جنديًا مخلصًا من جنود الكنيسة الكاثوليكية؛ فلما هلك رثته إحدى الصحف الفرنسية قائلة:

«أدولف هتلر ابن الكنيسة الكاثوليكية، يموت منافحًا عن النصرانية. فلا غرو ألا يجد اليراع كلمات يرثي بها موته، بعد أن كان قادرًا على أن يجد كلمات عديدة يمتدح بها حياته. فوق جسده الميت يشرق شخصه الروحي المنتصر. بتاج الشهادة يمنح الربُّ هتلرَ أكاليل النصر»[٢].

كان من بين المهام التي أوكلت إلى هذا القائد إلجاءُ اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين، فأنجز بالقوة في ثمانية أعوام ما لم تنجزه الدعوات الصهيونية في عقود. ولو تُرك اليهود لحالهم لربما كانت هجراتهم إلى الولايات المتحدة كما فعل بعضهم لاحقًا، لكن أوروبا

---

(١) The Vatican against Europe, p. 252.

(٢) The Vatican against Europe, pp. 118-119.

وأمريكا أوصدتا باب الهجرة دون هذا الفائض المنبوذ حتى يتم المشروع العولمي.

استمرت الحرب العالمية الثانية من عام ١٩٣٩ إلى ١٩٤٥م، وبلغ ضحاياها أكثر من ٧٠ مليون إنسان. وبينما كانت رحى الحرب تدور كانت الولايات المتحدة وحلفاؤها يؤسسون لمنظمة عولمية بديلة عن «عصبة الأمم» التي لم تفِ بالغرض.


الفصل الخامس
الأمم المتحدة وتدويل القدس

الأمم المتحدة وترويم القدس

في عام ١٩٣٣م انتخب «فرانكلين روزفلت» رئيسًا للولايات المتحدة، وكان مما اقترح إبان ولايته وضع شعار «النظام العالمي الجديد» على ورقة الدولار الأمريكي؛ وكان ذلك عام ١٩٣٥م. بعدها بأربعة أعوام شرع في التخطيط لمنظمة عولمية جديدة تحل محل عصبة الأمم، وكانت بداية مشروع «الأمم المتحدة» الفعلية في ٢٤ أكتوبر ١٩٤٥م، أي بعد استسلام اليابان ونهاية الحرب العالمية الثانية بأقل من شهرين. وهذا التوقيت ترسيخ لخطة إلجاء الأمم بعد بأس الحروب إلى الانضواء تحت مظلة عالمية تعِدها بالسلام الموهوم.

ترويم القدس:

في الثامن من يوليو ١٩٤٠م، نشرت مجلة التايم خبرًا بعنوان «هل سيحظى البابا بالقدس؟». جاء في ثنايا الخبر أن «ثلاثين أسقفًا إيطاليا أرسلوا برقية إلى الدوتشيه [موسوليني] يحُضُّونه على «تتويج نصر جيشنا الوفيِّ» برفع العلم الإيطالي فوق القدس». كما أن «قوى المحور تخطط لتسليم فلسطين لتكون تحت سيادة الفاتيكان... وبناء على الخطة... سيرعى البابا البقاع المقدسة في فلسطين»[1].

(١) The TIME Magazine, "VATICAN CITY: Pope to Get Jerusalem?", July, 14, 1940.

في هذه الأثناء كانت بريطانيا تهيئ الوضع من جانبها لضمان بقاء القدس روميًا. لكن انتفاضة المسلمين في فلسطين أقلقت حكومة الانتداب، فشكلت بريطانيا عام ١٩٣٦م لجنة لدراسة هذا الوضع المحرج لها تُدعى «لجنة بيل» (Peel Commission). انتهت هذه اللجنة إلى أن الانتداب لم يعُد قادرًا على إدارة البلاد، بل سيزيد الأمر سوءًا، كما اقترحت تقسيم البلاد إلى دولتينِ عربيةٍ ويهوديةٍ مع بقاء القدس تحت الانتداب. لكن هذا المقترح قوبل بردود أفعال شتى، فتبعته لجان أخرى لم تنته إلى شيء ذي بال.

في فبراير من عام ١٩٤٧م أعلنت بريطانيا عزمها على إنهاء الانتداب في فلسطين (الذي لم ينته إلا في ١٤ مايو ١٩٤٨م) وأحالت ملف القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة.

قرار تقسيم فلسطين ١٨١:

في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م أصدرت الجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة قرارها رقم (١٨١) والمعروف بقرار تقسيم فلسطين الذي نص على أن «تنشأ في فلسطين الدولتان المستقلتان العربية واليهودية، والحكم الدولي الخاص بمدينة القدس»[1]. هذا

(١) قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية) المجلد الأول، ١٩٤٧م-١٩٧٤م، نقلا عن موقع قناة الجزيرة.

الوضع الدولي الخاص بالقدس هو ما يعرف بـ«تدويل القدس» (Internationalization of Jerusalem).

ابتهجت الكنيسة الكاثوليكية بهذا القرار وما تبعه من قرارات تفصيلية بشأن القدس، كخطة لجنة القدس التي قدمت ١٩٤٩م. ووجهت الدولَ الكاثوليكية داخل الأمم المتحدة إلى تبني قرار التدويل القدس بكل قوة، إذ صرحت صحيفة «شيفيلتا كاتوليكا» - لسان الفاتيكان الرسمي - في عدد فبراير ١٩٥١م أنه: «من الضروري أن نضغط على ممثلي الأمم المتحدة من الدول الكاثوليكية كي يشكلوا جبهة صلبة تدافع عن تدويل القدس، كما أقرته الأمم المتحدة في ديسمبر من عام ١٩٤٩م»[1].

وكيف لا تفرح الفاتيكان بهذا القرار الذي سيضمن لها إخراج القدس من أي اتفاقية سلام أو تقسيم أو نحوهما. لذا كان موقف الفاتيكان دائمًا مؤيدًا لحل الدولتين وتدويل القدس، ليس حبًا في أحد الطرفين بل إعدادًا لتتويج المشروع العولمي بنقل عاصمته إلى القدس كما أراد مؤسسوا عصبة الأمم والماسون الصليبيون قبلهم. يؤيد هذا ما جاء في المنشور البابوي (In Multiplicibus Curis) الذي أصدره البابا بيوس الثاني عشر عام ١٩٤٨م قوله: «... سيكون من

(١) Civilta Cattolica, Feb. 1951.

المناسب أن تمنح القدس وما حولها - حيث الكثيرُ من ذكريات حياةِ وموتِ المخلِّص - صبغة دولية يمكن أن تُقدم في الظروف الراهنة ضمانًا أفضل لحماية المقدسات». ثم عَزز البابا هذا المعنى عام ١٩٤٩م بمنشور آخر عنوانه (Redemptoris Nostri Cruciatus).

فلما أَعلنت إسرائيلُ القدسَ «عاصمةً موحدةً وأبديةً» عام ١٩٨٠م اعترضتْ الفاتيكان بشدة وأضحت تناصر تدويل القدس علانية، بل طالب البابا يوحنا بولس الثاني عام ١٩٨٤م أن يكون للقدس «وضعُه الدولي الخاص والمضمون»[١].

وفي غرة أبريل من عام ١٩٩٢م زار الكاردينال «جوزيف راتسينجر» (البابا بندكت السادس عشر فيما بعد) فلسطين واكتفى بلقاء محافظ القدس «تيدي كوليك»، إذ لم تكن تعنيه القضية الفلسطينية إلا بقدر ما يجني منها من مكاسب للكنيسة[٢]. ثم إنه بعد أن جلس على كرسي البابوية أغضب كثيرًا من اليهود عندما أدان الهجومَ الإسرائيلي على غزة ووصفها بأنها «معسكر اعتقال واسع»[٣]؛ ولم يكن هذا حبًا للسلام ولا مناصرة لحقوق

(١) The New York Times, "What Pope John II Would Learn if He Visited Jerusalem", May 3, 1984.

(٢) Jewish Telegraphic Agency, "Pope Benedict XVI and the Jews" (http://www.jta.org/2013/02/11/the-archive-blog/timeline-pope-benedict-xvi-and-the-jews)

(٣) Reuters, "Pope Benedict Angers the Jews", January 25, 2009.

المستضعفين، لكنه كان حرصًا على استقلال القدس عن أي حكم غير صليبي؛ سواء كان هذا الحكم يهوديًا أم إسلاميًا.

إن لروما حضورًا قويًا داخل القدس بفضل سلطتها «الشرعية» على البقاع المقدسة ومؤسساتها التابعة. هذه السلطة أقرَّها القانون الإسرائيلي وعززتها بشكل صريح الاتفاقية الثنائية التي تُعرف بـ«الاتفاقية الرئيسة بين الكرسي الرسولي ودولة إسرائيل»، ووقعتها إسرائيل مع الفاتيكان في الثلاثين من ديسمبر عام ١٩٩٣م[١].

بعد هذه الاتفاقية بستة أشهر (في ١٥ يونيو ١٩٩٤م) وقَّع الطرفان اتفاقية أخرى سرية تمنح روما حق المشاركة في المفاوضات التي تقرر مستقبل القدس[٢].

وكما يرى المعلق السياسي اليهودي «يوئيل بينَرمان» فإن هدف الفاتيكان من هذه الاتفاقيات «هو انتزاع مدينة القدس القديمة من قبضة دولة إسرائيل... فقد ضَمِنا [بفضل الاتفاقيات] حقوق الفاتيكان في امتلاك سفاراتٍ حاكمةٍ مصغرةٍ خلال العاصمة الأبدية – القدس»[٣].

---

(١) "Fundamental Agreement between the Holy See and the State of Israel," Dec. 30, 1933 (http://www.mfa.gov.il).

(٢) http://www.thetrumpet.com/?q=6033.4423.0.0

(٣) http://www.joelbainerman.com/articles/vatican.asp

شمعون بيريز: فارس الكنيسة المخلص:

في مقال بعنوان «مرحبًا بك في القدس أيها البابا» نقل الكاتب اليهودي «باري حاميش» عن صحيفة «حَدَشوت» العبرية خبرًا فحواه اعتراف المفكر الفرنسي «ماريك هولتر» بتسلمه في ١٩٩٣م رسالة من «بيريز» إلى البابا يعده فيها بتدويل القدس، ومنحِ الأمم المتحدة السيطرة السياسية على القدس القديمة، ومنح الفاتيكان البقاع المقدسة! كما أن الأمم المتحدة ستقوم بدورها بإعطاء «منظمة التحرير الفلسطينية» عاصمة لها في القدس القديمة، وستصبح القدس الشرقية أشبه ما تكون بمنطقة تجارة حرة للدبلوماسية العالمية. وهو ما أكدته صحيفة «لا ستامبا» La Stampa الإيطالية (انظر الصورة).

RIVELAZIONI

MAREK HALTER L'EBREO DEI DUE MONDI

«E ora, Gerusalemme»

Piano segreto: affidarla al Papa

«La città vecchia, sotto l'egida del Vaticano sarebbe amministrata dai palestinesi Arafat m'ha detto: sto per andare a Gerico»

Marek Halter, scrittore franco-israeliano, come altri intellettuali ebrei ha avuto un ruolo di mediatore nella difficile trattativa
Qui a fianco, il Papa: avrebbe la «sovranità spirituale» sulla città vecchia



LA pace sta per entrare anche in Gerusalemme «Peres ha un progetto: vaticanizzare la città vecchia. Sì, avete capito bene: metterla sotto l'egida del Papa. Una sorta di Vaticano 2. E farla amministrare dai palestinesi, anche se resterà la capitale di Israele. Sorgerà uno Stato giordano-palestinese, ma dovrà scegliersi una capitale artificiale, un centro economico e amministrativo che potrebbe essere Nablus. E' il solo progetto che possa risolvere sia la questione politica che quella religiosa». Parola di Marek Halter, lo scrittore franco-israeliano amico di Arafat.

Una soluzione affascinante: tutte le tre religioni sarebbero rappresentate, in forme diverse, nella loro città santa. Ma il Papa lo sa? Che ne dice?

...la destra israeliana?

«Per loro sarà dura vedere la bandiera palestinese sulla città vecchia. Ma l'Olp non amministrerà certo tutta Gerusalemme Est: solo la parte chiusa tra le mura. Così si tarpano le motivazioni dei fondamentalisti islamici, non potranno più dire che le due grandi moschee, al Aqsa e Omar, sono in mano ... tatto che servirà ancora in futuro. C'è un piano per ingrandire il piccolo aeroporto turistico di Gerusalemme ad usum del Vaticano, e farne un nodo cruciale di comunicazioni tra legati, diplomatici, pellegrini».

Che sarà della Cisgiordania? Diventerà lo Stato palestinese?

«Il domani è di una confedera... «Gerico lo sarà solo all'inizio. Poi bisognerà trasformare una cittadina della Cisgiordania, probabilmente Nablus, in un moderno centro amministrativo. Con un territorio così vasto, allora sì che potranno tornare non solo gli 800 mila palestinesi fuggiti dalla guerra dei Sei Giorni, ma tutti quelli che lo vorranno fra i 3 milioni della ...

E cosa lo h... dell'Olp?

«Che lo farà».

A rischio d... bril e altri ripetuto: ... fine di Sad...

«Non è che fi... condotto una ... Certo, lui sa ... enormi. Ma s...

يضيف المقال أنه في عام ١٩٩٥م سَرّبت إذاعة «عَروتْس شيبَع» Arutz Sheva (القناة السابعة) برقية بعثتها السفارة الإسرائيلية في روما إلى وزارة خارجية «بيريز» في القدس تؤكد تسليم القدس للفاتيكان! ونُشر نص البرقية على صحيفة «هآرتس» بعدها بيومين، فأحدث الخبر ضجة كبرى. اعترف «بيريز» بصحة البرقية، لكنه اعتذر بأن أحدهم طمس أداة النفي، وأن الأصل هو أن إسرائيل «لن» تسلم القدس لبابا الفاتيكان[١]!

وفي مقال نشرته صحيفة «جيروساليم بوست» اليهودية - بعنوان «بيريز يريد التنازل عن البقاع [المقدسة] للفاتيكان» وتاريخ ٤ مايو ٢٠٠٩م - نجد الحديث عن المؤامرة نفسها. بل يضيف الخبر الذي ينقل عن تقرير إذاعة الجيش الإسرائيلي أن «بيت هاناسي» («المقر الرئاسي» في القدس) قال بأن «المحادثات تطاولت بما فيه الكفاية، وأن الوقت قد حان لتقديم تنازلات للفاتيكان والتوصل إلى اتفاق». كما أضاف التقرير بأن «(بيت هاناسي) طلب من وزارة الداخلية توقيع وثائق التنازل [عن القدس للفاتيكان] لكن (يِشاي) [وزير الداخلية] رفض الطلب»[٢].

(١) Barry Chamish. "Welcome to Jerusalem Mein Pope" (http://www.barrychamish.com/articles.htm)

(٢) The Jerusalem Post, "Peres Wants to Yield Sites to Vatican" (http://www.jpost.com/Israel/Peres-wants-to-yield-sites-to-Vatican).

لكن إذاعة «عروتس شيبع» اليهودية نشرت على موقعها خبرًا بعنوان «هيمنة إسرائيل على جبل صهيون في خطر»، وتاريخ ٢٦ أبريل ٢٠٠٩م يؤكد أن «الإلماحات والمؤشرات في الفاتيكان والصحف الكاثوليكية تشير منذ زمن إلى توقع أن تنتهي المفاوضات بنجاح - بالنسبة للجانب الكاثوليكي - في الوقت المحدد لزيارة البابا «بندكت» لإسرائيل خلال أسبوعين من الآن»[١].

فلما زار البابا «بندكت السادس عشر» فلسطين قال له «بيريز»: «كما تعلم، حاولنا أن ننهي ما نستطيعه قبل زيارتك،» «حينها أُوقف التصوير وقُطعت الميكروفونات واستمرت المحادثات بعيدًا عن الأنظار» كما ذكرت القناة السابعة «عروتس شيبع»[٢].

لكن «بيريز» لم ينسَ أن ينعت البابا في خطابه الترحيبي بقوله: «إننا نرى فيك راعيًا للسلام، وزعيمًا روحيًا عظيمًا، وحمّالًا لرسالة السلام إلى هذه البلاد والعالم أجمع»[٣].

ووَفْقًا لصحيفة «جيروساليم بوست» أعلن «بيريز» في خطاب

(١) Arutz Sheva "Israel's Control of Mt. Zion in Danger", April 26, 2009 (www.israelnationalnews.com/news/news.aspx/131032).

(٢) Arutz Sheva, "Peres Greets Pope in Official Residence", May 5, 2009. (http://www.israelnationalnews.com/News/News.aspx/131302#.VJbq1sAS0).

(٣) "Pres Peres welcomes Pope Benedict XVI at Presidential Residence" May 11, 2009 (http://www.mfa.gov.il).

ألقاه أمام «المؤتمر اليهودي العالمي» بالقدس في شهر أغسطس ٢٠١٠م استعداد «بنيامين نتنياهو» لتنفيذ خطة «حل الدولتين»! بعدها توجه «بيريز» إلى بابا الفاتيكان «ليوافيه بآخر الجهود المبذولة لإنهاء الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني وتأمين السلام في المنطقة»[١].

إذا تبينت عمالة الرئيس الإسرائيلي السابق «شمعون بيريز» للمشروع العولمي الرومي، عُلِم سبب منحه «وسام القديس مايكل والقديس جورج» الصليبي من قِبل ملكة بريطانيا عام ٢٠٠٨م. وهو هنا يذكرنا بهيرودس الكبير، وبولس الطرسوسي، وفلاڤيوس يوسيفوس، وثيودور هرتزل.

هل دقت ساعة الصفر؟

مع كل هذه التنازلات الإسرائيلية إلا أن الغرب الصليبي لم يعد يحتمل المفاوضات المتطاولة مع الطرفين المسلم واليهودي؛ يدل على ذلك ما جاء في خطة السلام التي طرحها مستشارُ أوباما الكاثوليكي «زبيجنيف بريجينسكي» في مقال خطير كتبه بالتعاون مع «ستيڤن سولارز» لصحيفة «واشنطن بوست» بعنوان: «على أوباما أن يقوم بزيارة جريئة إلى الشرق الأوسط إن أراد تحقيق

(١) The Jerusalem Post, "Peres: PM Determined to Implement Two State Solution" Aug 31, 2010 (http://www.jpost.com/Middle-East/Peres-PM-determined-to-implement-two-state-solution).

السلام»[١]، يقترح فيه بريجينسكي حلًا للقضية الفلسطينية يتلخص في دولتين تَقتسِمان القدس بينما توضع «البلدة القديمة» التي تضم المسجد الأقصى وكنيسة القيامة تحت وصاية الأمم المتحدة.

ليس غريبًا أن نسمع مثل هذه الأطروحات من رجل صرح بأنه بمثابة عضوِ شرفٍ في التنظيم اليسوعي الصليبي[٢]؛ لكن الغريب أن تكون هذه المبادرة المقترحة هي عين ما دعا إليه «أحمد قريع» أمام البرلمان الأوروبي في «ستراسبورغ» حينما قال: «ما لم نتوصل إلى اتفاق حول القدس، فإني أعلن أن القدس بشِقَّيها الشرقي والغربي ينبغي أن تكون قدسًا دولية موحدة... فلا تكون عاصمةً لإسرائيل أو فلسطين فحسب، بل عاصمةً للعالم أجمع»[٣].

إن هذه الخطة التي طرحها «بريجينسكي» ليست وليدة الساعة، بل هي مبنية على «قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١» الذي سبقت الإشارة إليه. لكن الجديد هذه المرة هو لغة الاستعلاء في التعامل مع من يرفضها من الطرفين. يقول «بريجينسكي» في مقاله: «ينبغي على إدارة أوباما - إذا ما رفض الإسرائيليون أو

---

(١) The Washington Post "To Achieve Mideast Peace, Obama Must Make a Bold Mideast Trip", April 11, 2010.

(٢) Dreyfuss, Robert. Hostage to Khomeini (New York: New Benjamin Franklin House Publishing Company, 1980), p. 5.

(٣) The Guardian "Jerusalem Should Be a Unified World Capital", Sept 6, 2000.

الفلسطينيون الموافقة على الصيغة الأساسية [للخطة] كنقطة انطلاق للمفاوضات - أن تكون مستعدة للاستمرار في مبادرتها بوسائل مختلفة... وبناءً عليه فإن على الإدارة [الأمريكية] أن تُبلغ الطرفين أنه إن رُفِض العرض من أحدهما أو كليهما فإن الولايات المتحدة ستطلب تأييد مجلس الأمن لخطة السلام هذه، وهي خطوة كفيلة بأن تولّد ضغطًا عالميًا على الطرف المتمرد»[1].

وهذا يعني بأسلوب أكثر تبسيطًا أن على الطرفين (الفلسطيني والإسرائيلي) أن يقبلا سيادة الأمم المتحدة أو «النظام العالمي الجديد» على البقاع المقدسة في القدس طوعًا أو كرهًا فليس ثمت خيار آخر إلا الخيار العسكري بإشراف «مجلس الأمن». لكن هذا الموقف المستعلي يستمد قوته أيضًا من قرار الجمعية العامة ١٨١ الذي نص على «أن يعتبر مجلس الأمن كل محاولة لتغيير التسوية التي ينطوي عليها هذا القرار بالقوة تهديدًا للسلام، أو خرقًا له، أو عملًا عدوانيًا، وذلك بحسب المادة ٣٩ من الميثاق» وبناء على ذلك يتخذ مجلس الأمن الخطوات اللازمة.

ولا أدري ما الفرق بين اقتراح الصليبي «بريجينسكي» وبين تصريحات «محمود عباس» التي يهدد فيها إسرائيل بالتوجه إلى

(١) The Washington Post, "To Achieve Mideast Peace, Obama Must Make a Bold Mideast Trip", April 11, 2010.

مجلس الأمن ومطالبته بفرض الوصاية على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م. فهل نحن أمام مسرحية كُتبت فصولها سلفًا؟

إن ثمت خطة تحاك خلف ستار المطالبة بدولة فلسطينية كاملة السيادة، بل هي أحد الفصول المتأخرة من مسرحية غربية صليبية بدأت كتابتها منذ القرن الثامن عشر كما رأينا. وهذه الفصول الأخيرة تتمثل فيما يلي:

أولًا: وجوب فض النزاع القائم بين اليهود و«العرب» في فلسطين - طوعًا أو كرهًا - على أساس حل الدولتين. أما حدود الدولتين فقد اتُّفق على جوهرها سلفًا كما أشار إلى ذلك الصهيوني «كيسينجر» في حوار أجرته معه صحيفة «دير شبيغل» الألمانية[١].

فالأمر إذن ليس اختيارًا، وما يقوم به محمود عباس إنما هو دفعٌ لعجلة المشروع الغربي في السيطرة على القدس بالصورة التي يريدها الغرب. فلا غَرْو إذن أن نجد رمزًا مثل «جيمي كارتر» يمجد هذه الخطوة «المازنية» التاريخية ويصرح بأنه لو كان رئيسًا للولايات المتحدة لما تردد في تأييد قيام دولة فلسطينية[٢]. بل ما الذي يفسر

(١) Spiegel Online, "Spiegel Interview with Henry Kissinger", July 6, 2009.

(٢) http://www.npr.org/2011/09/18/140558127/jimmy-carter-no-downside-to-palestine-statehood

تهافت الدول الغربية إلى الاعتراف بالدولة الفلسطينية إلا أن يكون ذلك جزءًا من المشروع المرتقب؟

ثانيًا: مجرد حل الدولتين لن يثمر شيئًا لصالح الجانب الصليبي إلا إذا عُزِّز بتدويلٍ للقدس تُنزَع بموجبه من أيدي المسلمين واليهود على حد سواء، ويعيَّن لإدارة شؤونها حاكم لا ينتمي إلى الدولة الفلسطينية بل ولا إلى الدولة اليهودية. وبهذا تصبح القدس دولة بين دولتين - أو «كيانًا منفصلًا» كما يسميها قرار الجمعية العمومية - لها سيادتها الخاصة وسفاراتها المستقلة.

ثالثًا: يراد للقدس أن يكون عاصمة تجارية عولمية، ولأرض الأنبياء أن تصبح «سنغافورة الشرق الأوسط» على حد تعبير مستشار أوباما «بريجينسكي»[1]. كما يراد للقدس أن يكون عاصمة روحية لكل الأديان، وحينها لن يكون نصيب المسلم منه أوفرَ من نصيب الهنادكة والملاحدة فضلًا عن أهل الكتاب.

رابعًا: والحالة هذه، فإن احتمال انتفاض الغيورين من المسلمين لإيقاف تلك المهازل وتطهير القدس من رجس المشركين واردٌ لا محالة، لكن المدبرين لهذا السيناريو لم يغفلوا هذا الأمر، فاشترطوا

---

(١) The Telegraph, "Barack Obama supporter accuses Jewish lobby members of McCarthyism", May 27, 2008.

لحل الدولتين أن «تجرد مدينة القدس من السلاح ويعلَن حيادها ويحافَظ عليه، ولا يسمح بقيام أي تشكيلات أو تدريب أو نشاط عسكري ضمن حدودها». و«للمساعدة على استتباب القانون والنظام الداخلي - وبصورة خاصة لحماية الأماكن المقدسة والمواقع والأبنية الدينية في المدينة - يقوم الحاكم بتنظيم شرطة خاصة ذات قوة كافية» كما ينص قرار التقسيم.

أخيرًا: لن يتمكن الصليبيون من فرض سيطرتهم على القدس وما حولها حتى تكون لهم قاعدة عسكرية قوية تتولى صدَّ «الدخلاء» من المسلمين. ولتبرير هذا الوجود العسكري لا بد أن يبدي الرئيس الإسرائيلي «بنيامين نتنياهو» تخوفًا من احتمال وقوع اعتداءات على الدولة اليهودية، وهو ما يستدعي - بزعمه - وجود قاعدة عسكرية ثابتة تضم قوات دولية من أجل حمايتها. وهذه مسرحية يقوم بها هذا اليهودي الذي يعمل لـ«مجلس العلاقات الخارجية» الصليبي منذ أن كان في الرابعة والعشرين من عمره. فحقيقة الأمر أنه سيكون جيشًا صليبيًا لتطويق القدس وفرض السيطرة على الأرض المقدسة.

وهذا عين ما اقترحه اليسوعي «بريجينسكي» من أن تكون هناك «دولة فلسطينية منزوعة السلاح تضم عسكرًا من الولايات المتحدة

أو حلف الناتو على طول نهر الأردن لتقديم مزيدٍ أمنٍ لإسرائيل»[1]. وهو كذلك ما دعا إليه ساركوزي ولقي ترحيبًا حارًا من محمود عباس الذي قال: «سنعمل على أن تصبح موقفًا دوليًا»[2]. ولعل سيناء تنتهي إلى حال مماثلة. أما خطة كيري للسلام فلا تختلف في جوهرها عما سبق.

---

(١) The Washington Post, "To Achieve Mideast Peace, Obama Must Make a Bold Mideast Trip", April 11, 2010.

(٢) صحيفة الاتحاد، ١٩ ديسمبر، ٢٠٠٧م، بعنوان: «عباس يؤيد اقتراح ساركوزي تشكيل قوة دولية لمساعدة الأجهزة الأمنية».



الفصل السادس

البابا اليسوعي حاكمًا للقدس؟

في خطوة غير مألوفة فاجأ كبير النصارى «بندكت السادس عشر» العالم أجمع برغبته في أن يقوم عن كرسي القديس بطرس بعد أن بلغ من الكبر مبلغًا لا يستطيع معه رعاية أمته. أثارت الحادثة فضول الكثيرين حتى صارت حديث المجالس عند بعضهم، لكن أحدًا لم يرْتَب أن الأمر ليس مجرد استقالة فحسب، وأن وراء الأكمة ما وراءها، لكن حقيقة هذا الوراء لم تتجلَ بعد، ولعلها فقدت شِرَتها عند الكثير بعد أن غلبت أصوات الأبواق التي تحتفي بالبابا الجديد.

إن الباعث على استقالة البابا بندكت السادس عشر، أو بالأحرى إقالته، لم يكن أخلاقيًا - في تقديري - بل هو سياسيٌّ يعود إلى عوامل من أهمها عدم كفاءة البابا بندكت السادس عشر في إدارة المرحلة، حيث لم ينجح في تطبيق الازدواجية التي درجت عليها الكنيسة الرومية ردحًا من الزمان. هذه الحقيقة صرحت بها مجلة التايم الأمريكية في مقال بعنوان «وجهة نظر: هل تَواصُل البابا فرنسيس مع غير الكاثوليك مؤشرٌ على إصلاح أعمق؟»[١].

---

(١) The TIME Magazine, "Viewpoint: Does Pope Francis' Outreach to Non-Catholics Signal Deeper Reform?" March, 23, 2013.

يقول الكاتب: «فيما يتعلق بعلاقات الكنيسة الرومية الكاثوليكية بالأديان الأخرى، كان البابا المستقيل بندكت السادس عشر أشبه ما يكون بالعم المسن الذي يريد الخير، لكنه غالبًا ما يقول الشيء غير المناسب على مائدة الطعام. فثمة خطابه عام ٢٠٠٦م الذي بدا فيه - سواء أصاب أم أخطأ - وكأنه يعرِّض بأن الإكراه على اعتناق الإسلام كان أحد عقائده الجوهرية؛ وكذا إحياؤه عملية إضفاء القديسية على بيوس الثاني عشر، بابا الحرب العالمية الثانية الذي انتُقد بشكل واسع بسبب صمته الملحوظ أثناء مذبحة الهولوكوست، وهو ما زاد بدوره من إقصاء اليهود. فمن بين الفوضى التي ترك بندكتُ إزالتَها من الفاتيكان لخلَفه كانت هذه الأخيرة أكثرها ركامًا، لا سيما في عصر العولمة، حيث تزداد أهمية حوار الأديان أكثر من أي وقت مضى».

فدور البابا الجديد إذن أن يحاول إصلاح ما أفسد سلفُه، وأن يعيد بناء الثقة بين المسلمين واليهود من جانب وبين البلاط الرومي من جانب آخر، وأن يدفع عجلة حوار الأديان التي يُعَد الباباوات صُنّاعًا لها. وقد عبرت مجلة التايم عن هذا الدور بقولها: «من حسن الحظ أن البابا المنتخب حديثًا (فرنسيس) يبدو مستعدًا لأن يحسِر كُمي ثوبه الكهنوتي ويبدأ التنظيف. وقال بشكل مفاجئ ولكن بنبرة توكيدية: (إنني أفكر في الحوار مع الإسلام على وجه الخصوص)».

◻ فمن هو هذا البابا الذي جعل الحوار مع الإسلام على قائمة أولوياته؟

إنه الأرجنتيني «جورج (أو خورخي) برجوليو» الذي اتخذ اسمه البابوي الفريد «فرَنسيس» تيمنًا بفرنسيس الأسيزي مؤسس التنظيم الفرنسيسكاني والمنصِّر الشهير الذي صحب الغزاة الصليبيين إلى مصر عام ١٢١٩م؛ هذا هو المشهور. وثمة من يرى أن اسمه البابوي مستعار من اسم «فرنسيس بورجا» رفيق إغناطيوس لويولا والجنرالُ الثالث للتنظيم اليسوعي. وعلى كلتا الحالين فإن اسمه لا ينفك عن رمزية صليبية، بيد أن وعده بالحوار مع المسلمين يجعله أقرب إلى سيرة فرنسيس الأسيزي الذي اشتهر بحماسه التنصيري بين المسلمين على وجه الخصوص؛ وهو مظهر بارز في شخصية البابا الجديد، كما يظهر من تصريحاته.

وثمت مظهر آخر يحاول البابا الحالي أن يظهر به، وهو قربه من العامة وإحسانه إلى الفقراء والمساكين والعجزة، وقد بدا ذلك جليًا في ظهوره يوم تنصيبه في عربة مكشوفة على غير المعتاد، وإيقافه العربة أثناء الموكب ليُسلم على أحد المعاقين؛ وهذا وإن كان من النفاق الإعلامي، إلا أنه يؤكد الوجهة التي يتخذها هذا البابا في سبيل إزالة الكُناسة التي خلفها بندكت.

تجدر الإشارة إلى أن البابا الحالي أول يسوعي يعتلي كرسي البابوية، وهو عضو في الرهبنة اليسوعية منذ عام ١٩٥٨م، بل كان القائد الأعلى الإقليمي للتنظيم في الأرجنتين، وهو ما يعني أنه بلغ الدرجة الرابعة في سلم الرهبنة اليسوعية، وأدى القسم المغلظ الذي جاء فيه: «أُعلن وأُقسِم أن قداسة البابا هو خليفة المسيح، وأن لديه السلطة - بفضل مفاتيح العقد والحل التي مُنحت لقداسته من قبل مخلصنا يسوع المسيح - لعزل الهراطقة من ملوك وزعماء ودول وحكومات، فكلها دون اعترافه المقدس غيرُ شرعية وحقيقةٌ بالتدمير...». فهو هنا «قداسة البابا» كما أنه اليسوعي من الدرجة الرابعة، وهو أمر جدير بالاهتمام.

ولعل قائلًا يقول: إن منصب البابوية سيفرض عليه سياسة أخرى غير التي تتخذها الرهبنة اليسوعية. وأقول: هذا متأكد ظاهرًا، أما السياسة الباطنة لهذا البابا فستظل سياسة التنظيم اليسوعي الذي نذر حياته لخدمته. ولعل ما دَوَّنه سيدُه البابا الأسود «أدولفو نيكولاس» من انطباعاتٍ حول زيارته له في ١٧ مارس ٢٠١٣م، يلقي بعض الضوء على سياسة البابا فرنسيس المستقبَلة[١].

(١) America Magazine, "Father General on his Visit with the Pope", March 19, 2013.

يقول زعيم اليسوعية: «بناء على دعوة شخصية من البابا فرنسيس، توجهت عند الساعة ٥,٣٠ مساءً إلى دار القديسة مَرثا، الدار التي استعملت لخدمة الكرادلة الحاضرين في الخلوة. كان واقفًا عند المدخل، تلقاني بالمعانقة على الطريقة اليسوعية المعتادة. وبطلب منه التقطْنا بعض الصور. ولما اعتذرت عن عدم التزام البروتوكول ألح علي بأن أعامله كأي يسوعي آخر، فأخاطبه بـ «أنت»؛ فلم يكن علي أن آبه بألقاب (قداسة) أو (الأب الأقدس)».

وحول سياسته يقول: «قدمْتُ له كل مواردنا اليسوعية لأنه سيكون بحاجة إلى المشورة والنصح في منصبه الجديد. كان ثمت شعور متبادل تمامًا حول عديد من القضايا التي ناقشناها، وهو ما ترك لدي قناعة بأننا سنعمل بانسجام لخدمة الكنيسة باسم الإنجيل. كان ثمت هدوء ودُعابة وتفاهم مُشترك حول الماضي والحاضر والمستقبل. غادرت المكان وأنا أحمل قناعة بأنه حقيق أن يُتعاون معه بشكل تام في كرْم الرب. وفي الختام حمل لي المعطف وصحبني إلى الباب؛ مما أضاف لي التحايا من قبل الحرس السويسري. مجددًا، معانقة يسوعية، خير ما تَستقبل به صديقًا أو تودعه».

ولا أظن كلمات البابا الأسود، الجنرال الأعلى للتنظيم اليسوعي، بحاجة إلى تعليق؛ لأنها صريحة في خضوع البابا فرنسيس للتنظيم

اليسوعي، وأنه سيتخذ من أعضاء هذا التنظيم بطانة يشاورهم، وأنه يتفق تمام الاتفاق مع البابا الأسود في وجهات النظر؛ مما يدعو المسلمين إلى اليقظة وعدم الاغترار بظاهر مواقف الفاتيكان ذات الازدواجية المعهودة.

بطريرك العالم:

إن اختيار زعيم الروم لأول مرة من داخل الرهبنة اليسوعية خلال هذه المرحلة المضطربة تحديدًا والاحتفاء الغربي بل واليهودي به لَيثير أكوامًا من الشكوك. وعندي - والله أعلم - أن هذا الرجل يُعد ليتولى منصبًا سياسيًا دينيًا هو «حاكم القدس» بعد أن يُهيأ له من قبل أوروبا التي تُقبل على الاعتراف بالدولة الفلسطينية في سابقة تاريخية. وهذا يذكرنا بما جاء في البروتوكولات - بصرف النظر عن كاتبها - «ويوم يَضع ملك إسرائيلَ على رأسه المقدسِ التاجَ الذي أهدته له كل أوروبا سيصير البطرِيَركَ لكل العالم... سيكون ملكنا على اتصال وطيد قوي بالناس، ملقيًا عليهم من منبره خطبًا يتردد صداها في الساعة ذاتها في العالم كله»[1]. وإذا أصبحت القدس عاصمة للنظام العالمي الجديد، صار «حاكم القدس» حاكمًا عولميًا.

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون: الخطر الصهيوني (ص ٣٠٣).

إن منصب «حاكم القدس» شاغر منذ أن صدر قرار الجمعية العامة الذي نص على أن «تنشأ في فلسطين الدولتان المستقلتان العربية واليهودية، والحكم الدولي الخاص بمدينة القدس»[1]. وقد ذكر القرار بعض التفاصيل المهمة جدًا المتعلقة بهذا المنصب منها:

أولا: «يقوم مجلس الوصاية [التابع للأمم المتحدة] بتعيين حاكم للقدس يكون مسؤولًا أمامه، ويكون هذا الاختيار على أساس كفايته الخاصة دون مراعاة لجنسيته». أي أنه قد يكون من خارج فلسطين!

ثانيًا: «يمثل الحاكمُ الأممَ المتحدةَ في مدينة القدس، ويمارس نيابة عنها جميع السلطات الإدارية بما في ذلك إدارة الشؤون الخارجية». فيكون له سفراء وممثلون في أنحاء العالم.

ثالثًا: «للمساعدة على استتباب القانون والنظام الداخلي، وبصورة خاصة لحماية الأماكن المقدسة والمواقع والأبنية الدينية في المدينة، يقوم الحاكم بتنظيم شرطة خاصة ذات قوة كافية يُجنَّد أفرادها من خارج فلسطين». كما اقترح كيري وبريجينسكي الكاثوليكيان.

---

(١) قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، المجلد الأول، ١٩٤٧م-١٩٧٤م، نقلًا عن موقع قناة الجزيرة.

رابعًا: «تكون الهجرة إلى داخل حدود المدينة [القدس] والإقامة فيها بالنسبة إلى رعايا الدول الأخرى خاضعة لسلطة الحاكم وَفْقًا لتعليمات مجلس الوصاية».

خامسًا: «إنْ رأى الحاكم في أي وقت ضرورة ترميم مكانٍ مقدس أو بناء موقع ديني ما، فيجوز له أن يدعو الطائفة أو الطوائف المعنية إلى القيام بالترميمات اللازمة. ويجوز له القيام بهذه الترميمات على حساب الطائفة أو الطوائف المعنية إن لم يتلق جوابًا عن طلبه خلال مدة معقولة». فهو المخول بالهدم والبناء إن لم يجد تجاوبًا من الطائفة المعنية مسلمة كانت أم يهودية.

سادسًا: «يكون لحاكم مدينة القدس الحق في تقرير ما إذا كانت أحكام دستور الدولة المتعلقة بالأماكن المقدسة والأبنية والمواقع الدينية ضمن حدود الدولة والحقوق الدينية المختصة بها، تطبق وتُحتَرم بصورة صحيحة؛ وله أن يَبُتَّ على أساس الحقوق القائمة في الخلافات التي قد تنشب بين الطوائف الدينية المختلفة أو من طقوس طائفة دينية واحدة بالنسبة إلى هذه الأماكن والأبنية والمواقع، ويجب أن يلقى الحاكم تعاونًا تامًا ويتمتع بالامتيازات والحصانات الضرورية للاضطلاع بمهماته في الدولة»[1].

(١) قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي، المجلد الأول، ١٩٤٧م-١٩٧٤م.

فحاكم القدس إذن هو ممثل «الأمم المتحدة» أو «النظام العالمي الجديد» في القدس، ويملك من الصلاحيات والحصانة ما يخوله للتخاطب الدولي مباشرة وتعاطي الشؤون الخارجية، بل يُدخل القدس من شاء من رعايا الدول ويمنع من شاء، ويبني من دور العبادة ما شاء ويهدم ما شاء، ويبُتُّ في الخلافات بين أتباع الأديان والطوائف.

بيد أن الأغرب من هذا كله أن شروط اختيار «حاكم القدس» تنص على «ألا يكون مواطنًا لأي من الدولتين في فلسطين» [انظر الوثيقة] فهو إذن لن يكون إسرائيليًا ولا فلسطينيًا؛ فماذا سيكون؟

2. *Governor and administrative staff.* A Governor of the City of Jerusalem shall be appointed by the Trusteeship Council and shall be responsible to it. He shall be selected on the basis of special qualifications and without regard to nationality. He shall not, however, be a citizen of either State in Palestine.

هآرتس والمخَلّص:

مما يثير الاستغراب أننا اليوم نشهد توسعًا غير مسبوق في الموقف اليهودي الإيجابي من البابوية؛ ففي أعقاب اختيار البابا الحالي خورخي برجوليو (فرنسيس) من قبل صحيفة «التايم» ليكون «شخصية العام»، نشرت صحيفة «هآرتس» مقالًا بعنوان: «شخصية العام: البابا فرنسيس لا يَقدِر على خلاصنا».(١) وهو مقال كاشف يبين تملق الصحافة اليهودية والغربية للبابا اليسوعي الحالي، وينعى أن لم يجد الكتّاب ما يسطرون سوى مدح هذا الرجل!

جاء في استهلال المقال: «ألم يجد كُتّاب الأعمدة اليهودُ قضايا ساخنة يكتبون عنها حتى أصبحت آخر صيحة عندهم أن يسبّحوا بحمد البابا؟ لم يعد يمر أسبوع في الأشهر الأخيرة دون أن تَنشر صحيفةٌ مهيبةٌ في أمريكا أو بريطانيا أو إسرائيل عمودًا لأحد كبار كُتابها، ويصادف أن يكون ممن ينتمون إلى حزب الممجدين لفضائل البابا».

ثم يضيف المقال: «إن علاقة الحب اليهودية مع فرنسيس ستزداد ولوعًا في الأشهر الستة القادمة، كلما اقتربنا من زيارته المزمعة [للقدس] في مايو ٢٠١٤. سنستمر في مقارنته بسياسيينا وأحبارنا، لنجدهم قاصرين عنه جدًا».

(١) Haaretz, "Person of the Year; Pope Francis Can't Save Us", Nov 12, 2013.

وفعلًا زار البابا الأرض المقدسة، لكنه جاء لمهمة محددة أشار إليها وزير خارجيته «بييترو بارولين» لما صرح أن البابا إنما زار القدس ليؤكد أمورًا ثلاثة:

١) حق إسرائيل في «الوجود والعيش بسلام وأمن داخل حدودها المعترف بها دوليًا».

٢) حق الشعب الفلسطيني في أن «يكون له وطن مستقل يتمتع بالسيادة».

٣) الاعتراف بالطابع المقدس والعالمي لمدينة القدس، وكذا «إرثها الثقافي والديني»[١].

ولا يخفى على ذي لب أن هذه الأمور الثلاثة هي خلاصة مشروع التدويل: ١) دولة يهودية ٢) دولة فلسطينية ٣) قدس دولية. فهل هذه محاور زيارة «دينية بحتة» كما صرح البابا أم أنه يرى أن السياسة جزء من الدين؟

الغرب وتزامن الاعتراف:

شهدت الأشهر الماضية اعتراف السويد الرسمي بالدولة الفلسطينية التي يسعى إليها محمود عباس. ثم تلت ذلك موجة من

(١) قناة الجزيرة، الأخبار: «بشارة الراعي يرافق البابا للأراضي المقدسة»، ٢٣/ ٥/ ٢٠١٤م.

اعترافات برلمانية أوروبية في بريطانيا وإسبانيا وفرنسا والبرتغال. ولا يبدو أن أحدًا تساءل: لم الآن؟

أليست بريطانيا هي من جلب هذا البلاء على أهل الإسلام في الأرض المقدسة؟ أليست فرنسا تحارب المسلمين على أرضها؟ أنسيَت إسبانيا والبرتغال محاكم التفتيش؟ أليس تزامن كل هذه الاعترافات مريبًا؟ إن الغرب يتآمر على أهل الإسلام كي يتوج مشروعه العولمي الذي طالما سعى إلى إقامته، ويتطلع إلى استعادة القدس التي ترك فيها ذكريات أسلافه الصليبيين. أما الولايات المتحدة وإن أبدت اعتراضها في الظاهر فإنها تتربص فرصة سانحة تعترف فيها بالدولة الفلسطينية ولكن بصورة تحفظ ماء وجهها بعد أن عُرفت لدى العالم أجمع بأنها المدافع الأول عن إسرائيل؛ فهي إذن مسألة وقت تحل خلاله المسائل التفصيلية العالقة في مشروع حل الدولتين وتدويل القدس.

من مظاهر هذا التواطؤ الغربي ظهور مطالبات غريبة هي في حقيقتها ترسيخ للمشروع العولمي. من ذلك دعوة الفيلسوف الفرنسي «ريجيس دُلبيه» إلى نقل مقر الأمم المتحدة إلى القدس لئلا تحتكر الولايات المتحدة كل شيء حتى مقر الأمم المتحدة. وهو إنما

يصطاد في الماء العكر[1]. فقد صرح بهذا «الاقتراح» بعض الزعماء في عصبة الأمم منذ عام ١٩٣٣م كما أسلفنا!

أما اليهود الذين قيل لنا أنهم يتحكمون في منظمة الأمم المتحدة فلم يستطيعوا كل هذا الأمد أن يقنعوا عبيدهم بالاعتراف بالقدس عاصمة أبدية لهم. وهم الآن متشنجون من مواقف الدول الغربية التي أظهرت حماسًا لقيام الدولة الفلسطينية لكنهم لا يملكون من أمرهم شيئًا. فهل آن أن نراجع حساباتنا؟

إن كثيرًا من اليهود أصبح يدرك أن كيانهم إنما كان مرحليًا، وأنه إلى زوال. وأن هذا الكيان لم يعد يحسن التواصل حتى مع أصدقائه الأمريكيين. وأن المقام في الأرض المقدسة لن يحقق لهؤلاء مستقبلًا حقيقيًا، لذا بدأ بعضهم يفكر جادًا في الرحيل من الأرض المقدسة[2]. وهذا حالهم الذي لم أجد خلافه منذ أن دعاهم موسى عليه السلام لدخول الأرض المقدسة إلى أن أكرههم الغرب على دخولها. أمة عصت ربها فأذلها الله بين الأمم.

---

(١) http://dailycaller.com/2014/11/17/french-philosopher-move-un-to-jerusalem/

(٢) مجلة البيان، «مفكرون صهاينة: كياننا إلى زوال» للدكتور صالح النعامي، العدد ٣٣٠، تاريخ ٢٤/ ١١/ ٢٠١٤م.

الفارس بيريز يصرح بالولاء:

سبق أن أشرت إلى ولاء بيريز للبابوية وسعيه في تسليم القدس للفاتيكان. ولكن يبدو أنه أراد بعد فترة رئاسية حافلة بالتملق اليهودي المعهود أن يُختم له بخير عند أسياده؛ فجاءت زيارته الأخيرة للبلاط البابوي مفسرة لكثير من التساؤلات حول الدعم المريب لتوجهات البابوية في الداخل الإسرائيلي. فقد قدم بيريز في أثناء زيارته لرأس الصليبية «فرنسيس» اقتراحًا بإنشاء «منظمة أديان متحدة» تكون وسيلة لمحاربة «الإرهاب» ونشر السلام خلفًا لمنظمة الأمم المتحدة، التي قامت بدورها وآن لها أن تتنحى.

وأضاف بيريز قائلًا: «أرى لزامًا أن يكون ثمت ميثاق للأديان المتحدة (United Religions Charter) كما أن هناك ميثاقًا للأمم المتحدة. هذا الميثاق الجديد سينص بالنيابة عن كل الأديان على أن حَزَّ الغلاصم والمذابحَ الجماعية كما رأينا مؤخرًا ليست من الدين في شيء»[1].

لكن الأغرب من هذه التصريحات اقتراحه أن يتولى البابا فرنسيس نفسه زعامة «منظمة الأديان المتحدة»؛ لأنه «ربما الزعيم الوحيد الذي يُحترم بحق»[2].

---

(١) Vatican Insider: La Stampa, "Peres' Proposal to Francis to set up a UN of Religions," Oct 4, 2014.

(٢) Reuters, "Shimon Peres floats idea of U.N.-style "United Religions" with Pope Francis", Sept 5, 2014.

إن الأمر لا يتطلب لوذعية لفهمه؛ فإنه لو قامت دولة فلسطينية، ودُوِّل القدس، ونُقل مقر الأمم المتحدة إليه، وأسست «منظمة الأديان المتحدة» تبعًا للأمم المتحدة، فأين سيكون مقرها؟ ومن سيرأسها؟

إن هذه المبادرة الشمعونية لم تأتِ من خارج الفاتيكان، بل لُقنها بيريز تلقينًا، وهي مؤامرة غربية لفرض سلطة دينية موحدة تحدد الأُطُر التي سيُسمح لأي دين بلا استثناء أن يتحرك خلالها. وهو سعي أممي لتمييع القضايا العقدية الجوهرية؛ كالولاء والبراء، فيكون استعمال بعض الألفاظ الشرعية كـ«الكافر» و«المبتدع» من الدعوة إلى الكراهية والتعدي على حقوق الإنسان، وقد يُمنع المسلم من نقض عقائد التثليث والصلب ونحوهما في سياق دعوته النصارى، باعتبار ذلك تشويهًا لصورة الأديان، بل إنه قد يُصادَق على الفتاوى الشرعية في بلاد الإسلام من قبل الأمم المتحدة بشكل غير مباشر، وهو ما يمكن تسميته «عولمة الدين».


الخاتمة

الخاتمة

تأسس الاتحاد الأوروبي مصداقًا لما نظر له سان بيير، وقامت الأمم المتحدة لتتحكم في دول العالم المستقلة، وقال بوش الأب عام ١٩٩٠م: «إننا نمتلك بين أيدينا الفرصة لأن نصوغ لأنفسنا وللأجيال اللاحقة «نظامًا عالميًا جديدًا»، عالميًا حيث شريعة القانون لا شريعة الغاب تحكم سلوك الأمم، عندما ننجح - وسوف ننجح -، فإن لدينا فرصة حقيقية لتحقيق هذا «النظام العالمي الجديد» نظام تلعب فيه «أممٌ متحدة» موثوقة دور حفظ السلام للوفاء بوعد ورؤية مؤسسي الأمم المتحدة.»

ولا يزال الغرب يسعى جاهدًا لإتمام هذا النظام بضم القدس تحت مظلته، وإعادة تسلط الروم على بلاد المسلمين. إن صح هذا التفسير لما نرى من حراك غربي، فإننا أمام مرحلة حرجة جدًا في تاريخ الأرض المقدسة. فلعل ما كان يشاع من ضرورة «حماية أمن إسرائيل» هو في حقيقته حماية لمصالح الروم في بيت المقدس. وقد يسلب القدس دون عساكر باسم حل الدولتين. وقد تكون الأسطورة اليهودية أسطورة فعلًا، فإنهم لم يعرفوا في التاريخ بقوة أو سلطان. مرحلة قادمة قد تحمل في طياتها الكثير مما يستغرب.

غير أنا نؤمن أن أهل الإيمان منصورون، وأن جند الله هم

الغالبون، وأن الله مظهرٌ دينه ولو كره الكافرون. قال صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ : يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ».

وعن عَبْد اللهِ بْن مَسْعُودٍ قَالَ: (إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، قال يُسير بن جابر: قُلْتُ الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ نَعَمْ، وَتكُونُ عِنْدَ ذَاكُمْ الْقِتَال رَدةٌ شَدِيدَةٌ فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمْ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ... فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ - أي على الروم - فَيقْتلونَ مَقْتَلَةً - إِمَّا قَالَ لَا يُرَى مِثْلُهَا وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا - حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا».

أسأل الله أن يرينا الحق ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه؛ كما أسأله أن ينصر دينه، ويعز أولياءه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرس

الفهـــرس